رواية
عَلَى مَشْنَقٍ
زمردة قنديل

إهداء:

"يا أهل الأقصى ويا أهل الصخرة ..كونوا كصخرتكم صلابةً ..كونوا كأقصاكم شموخًا .. وعزةً.. ورفعةً.. ومجدًا ان شاء الله"

د. أحمد نوفل

إهداء ثان:

الى الأمل الذي يلوح لنا كلما أُصبنا بالعجز ..متجسدًا بأشخاص رائعين رُزقناهم كي نتقدم خطوة للأمام بعد ان كنا عاجزين عن ذلك..أشكركم جميعًا..ودمتم لي رزقًا طيبًا تدوم ذكراه حتى اللقاء في الجنة..

❖❖❖❖❖❖

صعد درجات السلم سريعاً.. كان الهلع والخوف يزيدان من سرعته أملًا في انهاء تلك الدرجات بأقل وقت ممكن ..ولو انه ملك القدرة لأكمل طيرانًا ..

دق باب المنزل وفتحه على عجلة أغلقه بانفعال..خلع حذائه بطريقة عشوائية وانطلق يصيح:

-امي .. أمي..

دخل احدى الغرف القليلة في المنزل وهو يبحث عنها بعينيه، وجدها مستلقية على السرير بينما تجلس "منى" بجوارها.

خفق قلبه بعنف ..وانهالت الأفكار السوداء تهشم كيانه..جثا على ركبتيه وقال:

-هل... خاف أن يُكمل الجملة..لم يكن يملك القدرة لذلك.

التفتت إليه "منى" بأعين دامعة..لم تجد هي الأخرى قدرة على شرح ما حدث..فاكتفت بمزيد من الدموع.

تقدم "آدم" نحوها ..أمسك بكفها الهامدة بلا حراك.. ونظر الى "منى" قائلًا:

-انها بخير ..أليس كذلك؟

تعالت شهقات "منى" وهي تهزّ رأسها نفيًا بقوة ..وكأنما هي الأخرى لم تصدق ما حدث أمامها.

هتف "آدم":

-كيف! ..وأين والدي؟

لم تجب "منى" أي من تلك الأسئلة بل أجهشت في بكاء مرير ..كانت الارض تميد بهما ..شعرا بأنفاسهما الثقيلة الحارة تحرق صدورهما ..فقدا القدرة على التركيز أو التحكم بانفعالاتهما.

بعدها بدقائق، كان باب المنزل يُفتح مسفرًا عن قدوم رجل في الأربعين من عمره..تحرك مسرعًا ينادي بأسماء متعددة.. وصل الى تلك الغرفة المضاءة ..فهاله ما رآى..

-"آدم".."منى"..ماذا حصل؟!

لم يسمع ردًا ..فاقترب منها وجسّ نبضها ..صمت قليلًا ليستوعب ما حدث ..تمالك نفسه ونطق:

-إنا لله وإنا إليه راجعون..

بكى ثلاثتهم، لم يجد أحد بدًا من ذلك..كان الألم يعتصر قلوبهم ويمزق نياطها..وكأنما الجمر قد اشتعل فيهم ..فألهب القلوب وأدمع الأعين.

❖❖❖❖

كان واقفًا أمام النافذة ونسيم الصباح يداعب وجهه باستمرار..

لم يكن يرى شيئًا مما عرضته له نافذة غرفته..فقد قام عقله بالعمل..وعرض له أشرطة من اختياره،كان يود لو انها ما زالت واقعًا ..ولم تكن في صفحات الماضي. شعر بأحدهم يقف بجواره ، التفت فكانت "منى" تشاركه ذات الشعور.. قالت بصوت أشبه بالهمس:

-اشتقت كثيرًا..

أخذ نفسًا عميقًا وقال:

-وأنا كذلك..

-مرّ شهرٌ على ما حدث ..مع ذلك يصعب علي النسيان..

أومأ "آدم" قبل أن ينطق:

-كنت أود لو انها تُكمل معنا.. وترانا نحقق ما نسعى اليه ..وتشاركنا السعادة التي نحلم بها ..لكن قضاء الله شاء غير ذلك..

- انها حكمة الله ..علّ في ذلك راحة لها..فلنسأل الله لها المغفرة ونفعل ما علينا..دعاء..صدقة.

-انت محقة، تحرك مبتعدًا عن النافذة ووقف قبالة "منى" قائلًا:

-هل أنت مستعدة؟ سيبدأ دوامنا الجامعي في أقل من أسبوع..

زفرت وقالت:

-الى حدٍ ما.. رغم انه عامنا الثالث فيها..لكن غياب والدتي يشعرني بالتردد ..والخوف. لم يحصل أن خرجت دون أن تودعني بدعواتها ووصاياها ..سيختلف الكثير بدونها..كان الله في عوننا.

-لا تقلقي ..سأكون معك كالسابق.

أومأت وأضافت:

-بالمناسبة، هل دفع أبي رسوم التسجيل بمفرده ..أم اضطر للاستدانة؟

قال بأسى:

-هذا وذاك..فقد اقترض ليكمل النقود..تعلمين ان المصاريف تكثر.. إيجار المنزل ..النفقات اليومية ..الفواتير ورسوم الجامعة..هذا ثقيل على أبي وحده، وأنا الى الآن أبحث عن عمل أساند به أبي ولو بالقليل لكن..

-لا ترهق نفسك باللوم المستمر..نعلم جميعًا مدى التضحية التي يقوم بها كل فرد في المنزل.المهم ألا نقطع الأمل والدعاء..وعلى ذكر الدعاء..لقد دخل وقت الصلاة قبل قليل.

تنبه الى ما قالت:

-صحيح، سأخرج وأعود خلال دقائق..اقترب منها وقال:

-اعتني بنفسك..وبالمنزل.

هزّت رأسها وقالت:

-حاضر.. تأملها قليلًا ثم خرج..

كان المسجد على بُعد ثلاثمئة متر تقريبًا ..مجرد دقائق ويصل اليه..لكنه كان يستمتع بإشغال لسانه بالذكر والدعاء طوال الطريق.

دلف المسجد بعد بسملة خفيفة لهج بها قلبه قبل لسانه.. وجد "أمين" يجلس مسندًا ظهره الى الحائط مغمضًا عينيه سارحًا في ملكوته الخاص.

كم جذبه هذا الـ"أمين" رغم انه لم يتعرف عليه إلا مؤخرًا..ليس لسبب معين ..فلم يُقدم له معروفًا ولم يكن بينهما أية معاملة..

كان شابًا به لمحة من وسامة وديعة وجهه مشرق بابتسامة دافئة تُشعرك أن بينكما أخوة ما ..لم يتخلف يومًاعن صلاة المسجد..كان ملتزمًا بها وخصوصًا صلاة الفجر..كلما رآه والتقاه..تخطر بباله الآية القرآنية: "إنّ الّذينَ ءامَنوا وعَمِلوا الصَّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهَمُ الرَّحْمَن وُدًّا"[1]. قرأ تفسيرًا فيها يقول:

"إذا أحببت إنسانً لله وأنت لا تدري ما السبب فاعلم ان الله يحبه وأمر قلبك بحبه"..

كان يغبطه على هذا الإكرام .أيمكن أن تصف هذه الآية حال "أمين".. يا لسعادته ان حظي بهذا حقًا ..وان كنت لا أشك بذلك.

---

[1] سورة مريم الآية [٩٦]

مسح بيده على كتفه بلطف..فتح عينيه فتلاقت بعيني "آدم" ..أشرق وجهه بابتسامة ترحيب ودعاه للجلوس.

-كيف الحال؟

-"أمين": بخير والحمد لله وانت ما أحوالك؟

-بفضل لله ..قل لي هل سجلت في الجامعة لهذا الفصل؟

- أجل.. لا أريد ان أؤجل أيًا من الفصول الدراسية ..أريد ان أنهي مع "الدفعة" ..لا متأخرًا عنها.

-وفقك الله ..وأخبار العمل؟

-كله تمام..

-والمصاريف والنفقات..تعلم أننا أخوة.

ربت على فخذه وقال بامتنان: أعلم ..

كان يعلم ان وضع "أمين" المادي ليس بالجيد لكنه لم يكن يعرف تفاصيل أكثر حول ذلك..

حينها أقيمت الصلاة فاصطف المصلون جنبًا الى جنب واستحضر الجميع النية ثم كبّر الإمام معلنًا بدء صلاته.

كان صباح هذا اليوم مميزًا فهو اليوم الأول للدوام الجامعي..

هتف "آدم" من حجرته:

-هل انتِ جاهزة؟ جاء صوت "منى" من غرفتها:

-دقائق فقط..

أعلمه هاتفه عن وُرود اتصال..نظر الى شاشته المضيئة وقال بتعجب:

-"أمين"؟..أجاب:

-السلام عليكم..

-وعليكم السلام..آسف على الإزعاج يا "آدم" ..لكني ..سأخرج الى الجامعة قلتُ ان ترافقني..ما رأيك؟

-لكن..أنا أيضًا سأخرج لجامعتي ..في أي جامعة أنت؟

أخبره..فقال "آدم":

-أتمزح؟ ..نفس جامعتي..ثم أكمل بحماس:

-حسنًا خمس دقائق ونلتقي..أين؟

-أمام المسجد ما رأيك؟

-لا مشكلة الى اللقاء.

أنهى "آدم" الاتصال مسرورًا بشيء من العجب..صحيح انه أخذ يتعرف على"أمين" تدريجيًا ..لكنه لا يزال لا يعرف عن تفاصيل حياته شيئًا ..فكونه في ذات الجامعة أمر ادهشه..ضحك وقال بسخرية:

-قد يكون قريبي وأنا لا أعلم..

جاءه صوت "منى" من خلفه:

-من؟

التفت وقال:

-هناك شيء يسمى الاستئذان قبل الدخول.

-وانا استأذنت ..لكنك لم تسمع كنت تحدث احدهم على الهاتف..من هو؟

-صديق..سأذهب معه للجامعة.

قالت "منى" ببلاهة:

-هه؟! معه...وشقيقتك أيها المغفل..مع من ستذهب؟

نظر لها متفاجئًا وقال:

-صحيح..وشقيقتي..نسيت أمرك من فرط السعادة.

-وهل كنت سعيدًا لتلك الدرجة؟ مالأمر؟

-لا، ليس هناك ما هو مهم..فقط تفاجئت من كونه معي في ذات الجامعة..وسُعدتُ لذلك..

-وكيف سأذهب أنا؟

قال وقد أصبح الأمر محتمًا:

تعالي معنا..

-أنت سيء يا "آدم" ..كيف تطلب مني ذلك!

-وماذا عساني أفعل..لقد حصل ما حصل..وليس من المعقول أن تذهبي وحدك..

زفرت بحنق وقالت:

-طبعًا! ..وأنا ابنة الجارة..لمَ سيهتم "آدم" لأمري..

أمسكها "آدم" قبل أن تغادر وقال بأسف جم:

-أعتذر "منى" ..لا تغضبي هكذا ..انا أيضًا مُحرج.

نظرت له وأجابت بغضب:

-لقد حصل ما حصل.. ثم غادرت الغرفة وهي تقول:

-أنتظرك أنا جاهزة..

شعر "آدم" بسوء موقفه لكنه لم يشأ أن يعتذر ل"أمين"..خصوصًا أنها رحلته الأولى معه..أعلما والدهما بأمر خروجهما ثم انطلقا حيث اتفق "آدم" مع "أمين".

لاح لهما شاب يقف منتظرًا من بعيد..ويلقي نظرة الى ساعة يده بين الفينة والأخرى..

وقفت "منى" بعيدًا بينما تقدم "آدم" نحو "أمين" الذي كان مشدوهًا بعض الشيء..حياه بحبور..فسأله "أمين" عن مرافقته.

التفت "آدم" نحو "منى" الغاضبة ..ثم نظر الى صديقه وقال بشيء من الحرج:

-أختي..توأمي..ستأتي معنا..

قال "أمين" متلعثمًا:

-كان بإمكانك ان تخبرني ..فلم يكن هناك داع لهذا..

-لا بأس..

-بل هو بأس ..انسى امري اذهب معها ..نلتقي بالجامعة.

تفاجأ "آدم" وقال:

-لكن..

-لا عليك ..أعلم أنني أحرجتك..لا أريد ان أكون مزعجًا ..الى اللقاء..ثم رحل مبتعدًا.

تقدمت "منى" وسألت:

-الى أين ذهب؟

-الى الجامعة.

-وحده؟

-أجل هيا بنا..

رغم تعجبها لكنها لم تستطع أن تخفي ابتسامة راحة ظهرت على وجهها ..لقد فهم انه مُخطئ!

استقلا الحافلة العمومية التي ستقلهم الى الجامعة. وأثناء ذلك اتصلت "منى" بصديقتها:

-مرحباً بصاحبة الشركات والمؤسسات..عجيب كيف تذكرتني؟!

قالت "منى" بتعجب:

-صاحبة ماذا؟ ثم أنا لم انساكِ لأتذكرك..

-الأخت المشغولة ..التي لا تراسلني ولا تهاتفني..بالتأكيد شركاتها أشغلتها ..ربما الأعمال في هذا الوقت متراكمة..

ضحكن وقالت:

-"أسماء"..كفي عن السخرية...هيه أقدم اعتذاري سمو الأميرة.

- اممم سأفكر في الأمر...مبدئيًا فليكن الجواب بعدم القبول..

قالت "منى" بأسىً مصطنع:

-أوه..أرجوك مولاتي!

ضحكت "أسماء":

-حسنًا حسنًا ..أين أنتظرك؟

- قرب المكتبة ما رأيك؟

-لا بأس

❖❖❖❖

صُدم "أمين" لمرآى تلك الفتاة..أتراها من تكون؟ وكيف تسير مع "آدم" بتلكما الطريقة...قرر أن لا يظلمه بظنونه..فلا بد انها قريبته..أو حتى شقيقته فهناك تشابه واضح بينهما..أخفض بصره عندما اقترب الاثنان ..انتظرت الفتاة التي بدت غاضبة بعيدًا حتى أفهمه "آدم" الوضع.

شعر بقدر الازعاج الذي سببه لـ"آدم" وتوأمه كما عرف.. ففضل الانسحاب سريعًا..لا بأس سأذهب وحدي..الواضح ان الوحدة أمر محتمٌ عليّ ، كلما تجرأت وفتحت الباب صُفق في وجهي بحدة.

في الجامعة، أخذ موضعًا على أحد المقاعد الخشبية وأخذ ينتظر مرور الوقت...لم يكن يملك الكثير من الاصدقاء ..ربما لحيته التي يحملها وملابسه ذات الألوان الأحادية لا تروق لأحد..لم يكن يهتم فقد اعتاد على ذلك..بقي ينظر

حوله..علّه "آدم" يظهر من جديد ..كان شابًا طيبًا من ذات نهجه الذي انتهجه الاسلام لهم..ولكن للأسف أقلة هم من يرفعون شعاراته.

أخذ يُشغل نفسه بتلاوة القرآن حتى شعر بأحدهم يتقدم باتجاهه رفع بصره فكان "آدم":

-مرحبًا

ابتسم بسعادة ثم قال:

-أعتذر ان سببت لكما الازعاج.

-أي ازعاج يا رجل..لا بأس ..اوه ..واكتشفت انك زميلي في الجامعة..أي نوع من الأشخاص أنت! أخاف ان تكون قريبي وتخفي الأمر عني..

ضحك وقال:

-وماذا كنت تظن؟ بالطبع نحن أخوة..أليس "آدم" عليه السلام والدنا؟ و"حواء" أمنا؟

-صدقت، قل لي ..كيف حالك وحال أهلك وعملك..بالمناسبة ..أين تعمل؟

-عن سؤالك الأول..فأنا بخير والحمد لله ..وأما سؤالك الآخر..فأنا أعمل في أحد محال الإلكترونيات واصلاح الأجهزة..

-أها..والآن؟ أثناء دوامك الجامعي؟

تعجب من إصراره على معرفة التفاصيل فقال:

نفس الشيء..أعود من الجامعة الى العمل ..

-اعذر فضولي، ولكني أبحث عن عمل منذ مدة..وبما أنك تعمل في شيء يهتم بتخصصك الجامعي ..فأنت في السليم!

أومأ وقال:

-أجل والحمد لله..سأسأل لك عن من هو بحاجة لموظف في أحد المحال حولي.

"آدم" بامتنان:

-هذا من فضلك..ثم نظر الى ساعته:

-لابد لنا أن نتوجه الآن لقاعة المحاضرات..

نهض وقال: هيا..

أخذ "أمين" موضعًا بجانب "آدم" ..بانتظار قدوم دكتور المحاضرة، أخذهما النقاش الذي كانا فيه حتى لم ينتبها لذلك الشاب الذي تقدم نحوهما:

-مرحبًا "آدم"!

التفت اليه "آدم" بغتة وقال ببطئ:

-"اسماعيل"؟ ابتسم الشاب وقال:

- أجل تخيل! . قال والغرابة تعتريه:

-حقيقة لقد أدهشتني..مظهرك الجديدهذا لم أتوقعه.

ابتسم وجلس بجواره:

-ماالغريب الذي لم تتوقعه..أغلب الشباب يبدون بهذا الشكل..أما لك ان تخبرنا عن هذا السيد المحترم؟

قال "آدم":

-"أمين"..جارنا وصديقي.."أمين" هذا صديقي "اسماعيل"..

رحب به بشيء من الفتور:

-أهلًا بك، لم يبد انه راق له..كان ذا تصفيفة شعر غريبة..حيث يجتمع معظم شعره بالمنصف بينما كان حليق حواف الرأس..ألم يسمع عن الحديث الذي نهانا به الرسول صلى الله عليه وسلم عن القزع[1]؟! ..وبقميص وردي حرّر أول أزراره..

ويبدو ان "آدم" كان منزعجًا بقدره على الأقل ..فلم يمتنع عن تعليق حاد:

-ماهذا بالله عليك؟ وهل نظرت لنفسك في المرآة قبل أن تخرج؟

-"اسماعيل": أجل .. ومالأمر؟

-"آدم": ثم من هذا الحلاق الذي تعطلت ماكينته أثناء حلاقته لك ..فبخل ان يُكمل بماكينة أُخرى.

-تقصد ما بقي من الشعر..ضحك وأكمل:

---

[1] عن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن القزع.متفق عليه

عليك ان تعتاد على مظهره..انه تعديل بسيط.

- "آدم": اذا أردت رأيي فدعك من هذه السخافات التي يقوم بها الشباب هذه الأيام..

-بل إذا أردت رأيي فدعك من مظهرك البئيس الأحادي هذا..اعذر تجاوزي يا صديقي ..لكن لا بد لك أن تتغير مثلي..انها نصيحتي لك ..والآن عن اذنكما..تشرفت بمعرفتك "أمين" ..أراكما مجددًا.

انصرف "اسماعيل" فقال "أمين" باحتقان:

-لا ..وينصحنا باتباعه! منذ متى أصبح أهل الباطل على قدر عال من الوقاحة..ألا يكفيه وزره..يريد حمل وزر إضلال غيره!؟

هدّأه "آدم" قائلًا:

-أنا فعلًا لا أجد ما أقوله ناحيته..فقد كان تفكيره كتفكيري بالفعل..ولكن يبدو أنه ضلّ طريقه..وما علينا هو مساعدته..

زفر بحنق وتمتم بشيء لم يفهمه "آدم"..كان "أمين" بالنسبة له كهفًا مظلمًا أو مغارة مهجورة..يحاول سبر أغوارها..وكلما لاح له شبح النور..توجه ناحيته لكن يبدو أنه يُخطئ في كل مرة..فتصرفاته غريبة..وهو الى الآن لا يجد ما يستطيع أن يبني عليه تصورًا عن طبيعة شخصية المدوعو ب"أمين".

-يا سلام! كم كنت مشتاقة للجلوس في المحاضرات من جديد..رغم أن العطلة لم تكن بهذا الطول.

-"منى": هذا طبيعي..أما الآن وبعد أسبوع سنسمعك تقولين ببكاء "يا الهي متى تعود العطلة وتنتهي هذه الامتحانات!"

ضحكت "منى" وأكملت:

-وهذه تسمى متلازمة التعليم..تكون مُبشّرة في أولها ..لكنها تُتعب صاحبها لاحقًا.

أخذتا موضعًا على أحد المقاعد العامة في الساحة..

-"أسماء": حاولت ان أُقنع أمي برحلة عمرة..كما أوصيتني..لكنها قابلت الموضوع بعصبية شديدة..وصاحت بي مستغربة من طلبي هذا مع بدء الدوام الجامعي ..وأنها فكرة سيئة ذات توقيت رديء..لاسيما أنها قالت يجب أن يخرج معنا "مَحرم" ..وبما ان والدي مشغول في سفره حاليًا..فلن يستطيع اصطحابنا..

-"منى": ممم.. وما المشكلة لو خرجت أمك مع أخيها مثلًا؟

قالت "أسماء" بأسف:

-لم أحاول حل المشكلة التي وضعتها عائقًا أمام رحلة العمرة..فقد فهمت أنها لا تود ذلك مطلقًا.. وماسيفعله نقاشي الزائد هو مزيد من التوبيخ لاغير.

-"منى": حقيقة..أعتذر لما سببته لك من مشاكل..لكني لم أرد سوى مساعدتك..

-أعلم يا عزيزتي..مجرد انك ساعدتني على ارتداء الحجاب رغم رفض والدتي القطعي..هو اول ما يُشير الى محبتك لي..فأنت لم تريدي لي سوى الخير..لا تقلقي سأبحث معها عن حل آخر.

أومأت "منى" باستسلام:

-وأنا سأبحث عن فكرة أيسر وأسهل من رحلة عمرة! ..ربما رأت أن الموضوع صعب وبعيد..سنبدأ خطوة خطوة..

-ان شاء الله.

نهضت "منى" وصافحت صديقتها:

-عن اذنك، أخي ينتظرني الآن..سنعود معًا.

-أنا سأنتظر أن تُنهي "رحمة" محاضرتها الأخيرة ..كي نعود معًا.

-اتصلي بي حالما تصلين للمنزل.

-لماذا؟

-كي أطمئن عليكِ..ضحكت "أسماء":

-وهل انت ولية امري؟

"منى"ضاحكة:

-لا أدري..فقط كي لايبقى ذهني مشغولًا بك..فقد كنت أتمنى أن أعود معك..ولكن أخي يصر على عودتي معه..

-بالتأكيد..فهو شقيقك..أعذرك فهذا طبيعي..وداعًا.

ودعتها وذهبت مسرعة الخطى نحو باب الجامعة حيث اتفقت مع "آدم"..كان هناك يحدث ذات الشخص الذي شاهدته صباحًا..وقفت بعيدًا واتصلت به:

-"آدم"..أنا أنتظرك.

-وأنا أيضًا..أين أنت؟

-افهم أيها الذكي ..سلّم على صاحبك وغادر..ليس من المعقول أن أقف وأناديك..

-اه ..حسنًا..سامحيني "منى"..لكن يبدو ان عقلي ليس معي منذ الصباح..

-لا عليك..أسرع.

-"آدم": استودعك الله الآن..سأغادر مع شقيقتي..

قال "أمين" متفهمًا:

-أراك غدًا..في الجامعة..ابتسم "آدم" وصافحه مغادرًا..التقى بـ"منى" وانطلقا عائدين.

❖❖❖❖

عاد "أمين" لمنزله على عجلة ..فما زال امامه يوم طويل من العمل...وجد جده جالسًا حيث تركه صباحًا يتلو آيات من القرآن الكريم، قبّل رأسه وقال:

-كيف حالك اليوم يا جدي؟

-بأفضل حال يا عزيزي..

-دعني أبدل ملابسي ثم آتيك سريعًا..

انطلق الى غرفته .. أخذ حمامًا ساخنًا ثم توجه على عجلة يعد الطعام له ولجده..قبل أن يذهب للعمل.

مضت قرابة النصف ساعة حتى أنهيا طعامهما.

-عن اذنك جدي..لقد تأخرت.

-رافقتك السلامة..

نهض "أمين" وذهب الى غرفته..ارتدى ساعته التي نسيها قبل ان يخرج ..ثم خرج وأغلق باب غرفته..نظر الى الباب المُغلق المجاور لغرفته....وبعد تردد قصير فتحه ودلف.

كانت الغرفة باردة رطبة..بها شيء من رائحة عائلية قديمة. كانت تحوي على سرير مزدوج ..وخزانة ملابس تحتل جزءًا كبيرًا من الحائط المقابل..وفي الجانب الآخر وحدة أدراج صغيرة وبجانبها مكتب كبير مُحلق بمرآة تعتلي الأدراج.

جال بنظره قليلًا..لم تكن تحتوي كثيرًا من مظاهر الحياة..فقط أثاث خالٍ من أي شيء..مجرد جمادات عملاقة لم يعد أيًا منها يحقق اسمه..خزانة..دون ان تُخزّن شيئًا، أدراج..دون ان تُدرج بها مستلزمات مختلفة..

توجه للشيء الوحيد الذي عاند قانون الغرفة المميت ووقف منتصبًا يختصر حكاية أُناس كانوا هنا في وقت ما..

مرّر أنامله فوق الصورة التي يحتضنها اطار خشبي..كانت لعائلة سعيدة..الجميع ينظر نحو الكاميرا ويبتسم بسعادة، كان الزوج يحيط بيده كتفي زوجته..بينما أخذ الطفلان موضعهما امامهما وهما يرفعان أيديهما الى وسْطهما ويبتسمان بحبور.

حاول منع سيل الذكريات من تدمير تلك السدود التي رفعها لتحمي عينيه ضد أي جريان قد يُغرقهما..لكن هيهات.

رغم انه تخلص من الكثير ..لكنه لم يستطع أن يُتلف هذه الصورة مثلما فعل بمقتنياتهم الشخصية..أراد ان يتناسى كل ما حدث..أراد ان يرمي بما حصل خلفه كي يستطيع ان يُكمل..لكن الأمركان فوق طاقته..عجز امام تلك الصورة التي تلخصت بها اولى سنسن حياته..زفر بحنق..كم يكره أن يرى نفسه ضعيفًا وهشًا الى هذه الدرجة..كم سبّ تلك السدود التي أبت إلا ان تنهار كلما رأت سيل الذكريات قادم من بعيد..

متى سينهض من تحت انقاض الماضي ويستعيد نفسه وسعادته من جديد..متى سيشعر بروحه تفيض فرحًا وأُنسًا بأشخاص تمنى لو انهم لم يذهبوا ويتركوه وحيدًا...

أمي...أبي..أخي.. ليست هي تلك الكلمات التي أرددها في اليوم مئات المرات..بل من تلك الكلمات التي غابت وغدت في طي النسيان..أصبح اسم كل واحد منهم مقترنًا بدعاء..يدعو لهم بالمغفرة وحسن المئاب..كم تمنى يومًا لو انه بين أسرة يحظى بدفئهم وينعم بوجودهم..اشتاق الى شجار يفتعله مع أخيه..اشتاق الى توبيخ من أمه لأنه لم يقم بواجباته لهذا اليوم..طفقت روحه تبحث عن صوت يناديه..ويطلب منه أن يتحمل المسؤولية لأنه الأخ الأكبر.

يا لها من نعمة تمنى لو انه يحظى بها مجددًا..ولو ليوم واحد..يستطيع به أن يُزيل شوق سنين مضت..وأن يُودعهم بما يليق لأيام لا يعلم بها إلا الله..لم يكن يتخيل أن حادثًا ما سينتزع منه أقرب الناس إليه جملةً واحدة..ودون أي سابق انذار أو حتى لحظات وداع..بدل ان يقضيها بجزع باكيًا فوق ثلاثتهم في أسرة المشفى..

لماذا لم يأخذه والده معه..كم سبّ ذلك الاختبار الذي لم يدرسه وعُوقب بسببه ليبقى وحيدًا في المنزل حالما يعودون من زيارة عائلية..لماذا لم يكن معهم وتنتهي حياته معهم كأسرة واحدة..كما بدأوها مسبقًا..تمنى في كثير من الأحيان لو يسقط عليه جدار المنزل..أو ان تأخذه سيارة مسرعة على ناصية الطريق..أو تلتقطه صاعقة تحمله حيث سبقته عائلته منذ زمن..

تنبه الى انه يُضيع الوقت عبثًا..يا له من تناقض، بقدر ماهو بحاجة الى ذكرى تشعره بأصله فهو لا يحتمل حتى النظر اليها..تفاصيلها تروي أحداث مرت كحلم قصير..وأي حلم كان..

استغفر ربه..فكل ما كان يفعله هو قول "لو" و"ياليتني"...يعلم ان هذا لا يصح..فالله أعلم بما سيكون "لو"...ولكنه بمشيئته قدر له أن يكون كما هو لأنه الأفضل له.. والخير يكمن فيه بطريقة ما..وهو بنظره القاصر لن يُدرك حكمة الله له فيها.

راودته تلك الخاطرة فنهض غاضبًا ساخطًا على نفسه..لن يعود لعادته السيئة هذه..فتح أحد الأدراج وألقى فيه الصورة بعنف وأغلقه..ثم توجه خارجًا..

ألقى التحية على جده..ولم ينسى أن يحمل الظرف الذي جهزّه قبل خروجه وانطلق الى عمله تودعه دعوات جده له بالتوفيق.

قبل أن يتوجه الى عمله..ذهب الى "مركز الأيتام" الذي يزوره كل فترة وأخرى..يقدم شيئًا مما يجنيه..يشعر بذلك انه يُسعد أشقائه..أشقائه الذين تجمعهم ظروف واحدة..يُجب ان يراهم سعداء..ربما هذا مصدر سعادته الأكبر..

وقف ينتظر موظفة الاستقبال التي لم تكن في مكانها...لحظات حتى سمع صوتًا لفتاتين تتحدثان:

-كان الله في عونك..وماذا الآن؟

-سأستمر كالسابق..وماذا عساني أفعل؟! لقد تعلقت في المكان بشدة..

-أتعلمين انك تقومين بالعمل في مكان رائع..هنا يمكنك أيضًا مساعدة الآخرين..ليتني أستطيع أن أداوم معك..وأبث السعادة والأمل في هؤلاء الأطفال..لكن "آدم" يرفض ذلك بشكل قطعي..أنا أحمد الله أنني أخرج للجامعة وهذا يكفي..

جذبه اسم "آدم" في الحوار..لكنه الى الآن لم يرى أيًا منهما..كان حديثهما صادرًا من غرفة مجاورة..أكملت احداهن:

--وماذا تظنين..أنا هنا بعد اقناع دام طويلًا ..وربما بضع دقائق من البكاء..

ضحكت احداهن بعفوية وقالت:

-هذه العملة التي تشتري كثيرًا من المستحيلات..دقائق من البكاء كافية للحصول على المنتج!

ابتسم "أمين" لتعليقها الساخر..ومن يُنكر ذلك!

ظهر حينها صاحبتا النقاش السابق ..كانت احداهن موظفة الاستقبال التي ينتظرها..بينما كانت الأخرى..مَن؟..لقد رآى هذه الوجه مسبقًا..أين؟..آها تذكر..تلك الفتاة التي كانت تسير خلف "آدم" صباح اليوم..شقيقته.

أجفلت الاثنتان لمرآى"أمين" وقد خمنتا أنه استمع لحوارهما..فثقل لسانهما عن قول شيء..حتى تنحنح "أمين" وقال بصوت رخيم:

-السلام عليكم.. ردت الموظفة بالسلام بينما ودعتها الأخرى سريعًا وقد أربكها الشخص الواقف:

-وداعًا.."آدم" ينتظرني في الأسفل..الى اللقاء. وغادرت..التفتت الفتاة الى "أمين" ورحبت به..قدم لها النقود التي يهتم بتجميعها ليساهم في نفقات هذا المركز.

قالت وهي تستلم النقود وتسجل بعض الملاحظات:

-"إسلام" يسأل عنك باستمرار..هل تود مقابلته؟

تململ "أمين" في مكانه..آه .."إسلام"..ذلك الطفل الذي اتفق معه أن يكون له الأخ الأكبر..وأنه سيمر عليه كلما سنحت الفرصة..تذكر امر تأخره عن العمل فقال:

-أعتذر لن أستطيع..لقد تأخرت عن موعد..لاتخبريه بأمر قدومي..ثم ألقى التحية وانصرف.

نزل مسرعًا..علّه يلقى "آدم"..لكن يبدو ان اخته لم تخبره بشأنه..ربما أحرجت أن تخبره بوجودي ومعرفتها بي لا بأس..ربما هذا ما كنت سأفعله لو كنت مكانها..أخذ نفسًا عميقًا وأغمض عينيه قليلًا..لحظات فقط ليستعيد ترتيب أفكاره..ثم توجه الى العمل.

كان جالسًا مع صديقه في أمسية مسائية اعتادا عليها، تجمعهما حديقة منزله المتواضعة التي تعيش بها عدة انواع من الأشجار المثمرة المنتشرة بكثرة في البلاد..كالزيتوان والتين والتفاح وكروم العنب..

أخذا موقعهما وسط الطبيعة التي جادت عليهما بالمناظر الخلابة أعانها النسيم اللطيف لخلق جو رائق عذب..

-أرجوك من أجلي "أيوب"..

-ماذا؟

-لا تتظاهر الغباء..هيا

-صدقني أنا لا أفهم ما تقول..

-أنشد يا أخي ..أنشد! وهل انا بحاجة للتصريح! "واللبيب من الإشارة يفهم"!

-أي إشارة ..أنت لم تقل سوى "أرجوك يا أيوب"..

ضحك وقال:

-أليس من المفروض ان يتواصل الأصدقاء بإشارات غير مرئية..

رفع "أيوب" حاجبه:

-بالله عليك؟..

أكمل صديقه قائلًا:

-كما ان الجو بحاجة لشيء من هذا القبيل..لا تدعني أتسول منك نسولًا..ألا يمكنك أن تجود عليّ بصوتك!

-دعني وشأني..لستُ بمزاجي..

-اذا لم يكن لي..فأنشد لأبي..لخاطره..

-أوه يا "معتصم"..لقد أصبت هدفًا!

"معتصم" بأسى:

-أعلم.. ربّت "أيوب" على كتفه وقال:

-لا تيأس من رَوح الله يا "معتصم"..سيُفرج عنه قريبًا..أنا اؤمن بذلك..وسنجتمع به جميعًا..

قال وقد ترقرقت عيناه بالدمع:

-لقد مرّ الكثير..ومع ذلك يصعب علي الأمر..اعلم أن حالي هذا يمر به العشرات ..بل المئات غيري..لكن..

قال "ايوب" ليعيد صفاء الجو:

-أوه! كل هذا لأني لم أنشد لك! ..يا لك من محتال تستطيع أخذ حاجيتك..حسنًا لا داعي للمسرحيات واستدعاء عاطفة الجمهور..سأنشد.

ضحك "معتصم" ملئ شدقيه...وأضاف مازحًا:

-لقد كشفت امري!

ضحكا سويًا..حتى قال "ايوب:

-حسنًا..ليس لأجلك..لأبيك.

-أياً كان..اشتقنا لسماع صوتك..لا أفهم لم تحرمنا مكنه..

-سامحك الله! ومالذي كنت تسمعه صباحًا؟!

-وهل هذا يكفي..كفاك ثرثرة..هيا ابدأ..

ضحك وقال:

-حسنًا حسنًا..، رفع بصره للسماء وكأنه يستجلب منها كلماته.. ثم أنشد بصوته العذب بعد موالٍ قصير:

-يُمّا يطيب السجن... والعمر ما أَحلاه..لما يكون الأسر ..مهر بسبيل الله..

توقف قليلًا والتفت الى "معتصم" الذي كان ينظر له بتأمل..أعاد بتأثر أكبر:

- يُمّا يطيب السجن... والعمر ما أَحلاه..لما يكون الأسر ..مهر بسبيل الله..

يُمّا وحنين الأهل... يُمّا وحنين الأهل ..في القلب ماأغلاه..لكن سبيل الوطن.. عزم وسجن وحراب ..آه..وحرااب.[1]

-اه فقط..ألن تُكمل؟

---

[1] الكلمات الأولى من أنشودة "روحك ما يهمها اعتقال"

ضحك:

-ألا يكفي؟ ..هذه للحلقة الأولى..نُكمل الحلقة القادمة.

-على هذه الحال ..قد تُصبح جلستنا القادمة مصحوبة بالضرائب..اذا أردت أن تجلس وتستمع ..فادفع..أكمل بعد هزّ رأسه تباعًا:

-ستربح كثيرًا. مسح "أيوب" ذقنه متظاهرًا التفكير:

-أتعلم ..فكرة ناجحة.

-أنت سيء يا "أيوب"..هل أهون عليك الى هذه الدرجة؟

نظر له وقال:

-انك لتعلم كم تبلغ معزتك عندي يا "معتصم"..

ابتسم وقال:

-وانك لتعلم كم انني أحب أن أمازحك وأُحرجك بهذا الشكل..

-لا حول ولا قوة إلا بالله..وهل يكون المرء هكذا وفيًا؟..يا للغرابة.

صمت "معتصم" ولم يُجب..

-ماذا؟

-ماذا؟

-أعني ما ردك؟... ليس من عادتك أن تترك حديثك بهذا الشكل..

-لا أبداً ..كنت أفكر بشيء ما..

-عن؟

...-

-أقول لك عن؟

-ها.. أقول انني.."أيوب"...ما رأيك فيّ؟

اعتدل أيوب في جلسته وتنحنح قليلًا:

-شاب متوسط القامة..ذو بشرة بيبضاء..وشعرٍ فاتح اللون..عينيه عسليتان..يعيش في منزل مع أخويه...إلا أنه مساءً يُفضل أن يأتي الى منزل صديقه ليجلس في حديقته..ولا أفهم لماذا يظن انه مُرحبٌ به.

ضحك وضرب كفه برأسه:

-أيوب كن جادًا للحظة فقط..أتكلم بجدية..ما رأيك في "معتصم"؟

قال "أيوب" بطريقة تمثيلية:

-صديق العزيز..أنت أروع انسان أقابله في حياتي كلها..لم أجد خيراً منك..انك لنعم الصديق والأخ..تساندي دومًا..تقف معي في الشدة وتفرح لفرحي وتشاركني به..ثم أكمل:

-صدقني انت كل هذا..

-حسنًا لا بأس..اذن انت تُقر بما قلت؟

أومأ برأسه إيجابًا..

-حسنًا..ما قولك حيال...أعني لو أنني ..ربما لو كنت..أ ..مثلًا..هل تقبل..

انفجر "أيوب" ضحكًا:

-ما بك يا رجل! هل هرب معجمك اللغوي منك فجأة..مالذي حصل؟ كنت بكامل رُشدك في بداية الجلسة..

قال "معتصم" باحتقان:

-المشكلة انك لستَ "لبيبًا يفهم من اللإشارة"..ماذا أقول! افهمني يا أخي! أريد التقدم لخطبة شقيقتك.

-هه؟

قال "معتصم" بهدوء:

-أهكذا تفهم فقط..أقدم عزائي لك يا صاح..

-فهمت فهمت..اذن..صفعه على كتفه بانفعال وقال:

-ألا يكفيك كوني صديقك..تريد ان تكون رزج أختي..لمَ الطمع يا "معتصم" استغفر ربك..

احمر وجه "معتصم" وقال بحنق:

-يكفيني ما فيني يا "أيوب"..ليس وقت مناكفاتك الآن.. ها ما قولك؟

ابتسم وأجاب:

-وما قولي؟..بالنسبة لي فأنا موافق..سأخبرها فالأمر في النهاية يعود لها..

-أخيرًا يا أخي..كن عمليًا قليلًا..

ضحك وقال:

-سامحك الله، أمازحك فقط..أم أنك الوحيد الذي يجيد ذلك..

-لولا انك أخ زوجتي المستقبلية لخرجتَ من جلستنا مُعتلًا..

-تعني انه لخاطر "سمية"؟! ..أيها المغفل..أنا شقيقها احفظ لسانك..

أصدر صوتًا بمعنى الرفض وأردف:

-لا يا عزيزي..اوقن أنني سأكون زوجها.. . قال بشك:

-مالذي يجعلك موقنًا هكذا؟

عاد بظهره الى الكرسي وقال بطريقة مسرحية:

-انها نبوءات المحبين..

أطلق "أيوب" ضحكة مباغتة وهتف:

-احترم نفسك يا "معتصم"..كي لا أجرم بزوج أختي قبل أن يكون كذلك..

-أعتذر يا "أيوب"..صدقني لم أكن أقصد شيئًا..أنت تعلم أنني أداعبك فقط..المهم..أتمنى ان يصلني الرد سريعًا..

ربت على فحذه:

-ان شاء الله، ولا تُكثر من مزاحك المشبوه..أنا أعلم مقصدك..لكن ليس كل الناس "أيوب"..لا تأمن على الجميع..نصيحة فقط..

-يا سلام يا سلام..حكيمنا فضيلة الدكتور "أيوب"..بارك الله لنا فيك ..ودمت لنا معلمًا وناصحًا..

قلّب "أيوب" كفيه آسفًا:

-حسنًا..أتركك لما يُشغلك..الوقت قد تأخر..ويجب أن أعود..اعلم أنك تريد طردي لأني أحمل بُشراك..لذا سأنسجب بكرامتي..

ضحكا مطولًا وأضاف معتصم مازحًا:

-وها قد عرفت..هيا الى منزلك..لأني أريد العودة أنا الآخر..

-حسنًا أنا سأردها لك يا "معتصم"..المشكلة أنك لا تملك أختًا..

أخرج "معتصم" لسانه ساخرًا:

-حظًا أوفر ..

-هههه ..أُقرّ بذلك أنا أيضًا..

-الى اللقاء اذن..

وقبل أن يهم "معتصم" بالمغادرة جاء "أيوب" اتصال هاتفي:

-مَن؟

ضحك "أيوب":

لا تقلق ..ليست "سمية"..انه والدي..

-هيه! أنا لم أقصدها أيها المغفل..كل ما في الأمر انني أُقلقت لأجل اتصال جاء في وقت متأخر..

-أعلم أيها الساذج لا تبرر..فتح "أيوب" الاتصال وتمتمات "معتصم" المختنقة تلاحقه:

-السلام عليكم..الحمد لله..أجل انا في المنزل..أين انت في طريق العودة؟

..أجل..حقًا!؟ ...ان شاء الله..حسنًا..وعليكم السلام.

-مالأمر؟

-والدي سيسافر قريبًا..ويريد أن يعلمني لأساعده في بعض الاجراءات.. .لا بد ان عمي قد استدعاه....لكني لا أظن أنني سأذهب معه..

-قريبًا؟ ..ألن يحضر حفل الخطبة؟

-خطبة؟..ثم استدرك وفهم قوله:

-يا للثقة هههه..الله أعلم يا صاحبي..سأطرح الموضوع أولًا ..ويحصل الخير بعدها ان شاء الله..

-اياك ان تنسى..أستودعك الله...

-لن أنسى لا تقلق..الى اللقاء.

❖❖❖❖❖

كانت في المطبخ تقوم على تنظيفه بعد أن أنهى الجميع الغداء..وقفت تنظف الصحون كالعادة بينما والدتها تعد قهوتها:

-جزاكِ الله خيراً با حبيبتي يا "سمية"..

-وإياكم..أنا سأكمل ..يمكنك الاعتماد عليّ.

أنهت والدتها وغادرت نحو غرفتها، من المعتاد في المنزل أن تعد هي الغداء بينما تقوم ابنتها بالتنظيف..ورغم ان "سمية" حاولت جاهدة أن تستلم عنها اعداد الطعام..إلا أنها رفضت رفضًا قاطعًا بقولها إنها مهمتها الأزلية الخاصة بها.

شعرت بأحدهم يقف بجوارها..

-"أيوب".. يمكنك أن تغسل يديك في مكان آخر..أنا أكره هذه المداخلة..أنت تعلم.

دفعها ليقف بجوارها ويقول:

-لن أغسل يدي..سأغسل الأواني..أنتِ نظفيها وانا سأغسلها..

ضحكت وقالت:

-ءأنت متأكد انك "أيوب" ..شقيق "سمية"؟

-أجل وماالمشكلة..كما انه يحب ان أعتاد على ذلك.

-لم أفهم ؟

قال بلا مبالاة:

-ماذا أقول..سأستلم هذه المهام قريبًا..عليّ أن أكون على استعداد.. . توقفت "سمية" عمّا تفعله ،التفتت اليه:

-ماذا تريد ان تقول؟

-ولمَ كل هذا الاهتمام..أنا أتكلم كلامًا عاديًا..ما المشكلة؟

-شعرتُ انك تلمح لشيء ما..أو..

قال ضاحكًا:

-"سمية" أنت تسيئي فهمي...إلام سألمح برأيك..ها؟

التفتت لتعود لعملها وهي تقول بملل:

-"أيوب" اتركني لأعمل وحدي..فأنت ثرثار متكاسل..كيف سنعمل وانت لم تضع لسانك في فمك حتى الآن؟..

-"سمية"..

-ماذا؟

-صديقي "معتصم"..

قاطعته:

-يريد أن يأتي لزيارتك..حسنًا سأعد الضيافة..أمر آخر؟ ..هيا احمل نفسك واذهب لأنك بطيء جدًا..انظر كيف راكمت الأواني!

ضحك "أسوب" بشدة:

-اهدأي ..لن يأتي لزيارتي..لقد طلب مني أن أخبرك أنه يود التقدم لخطبتك..لكني أتفق معك .. ستعدين الضيافة لا محالة..

-ماذا..

-مالأمر؟ ..

-ومتى أخبرك بذلك؟

-البارحة..

احمرّ وجهها وقالت:

-حسنًا سأفكر في الأمر وأستخير .. . غمزها "أيوب":

-تفكرين بماذا.."معتصم" شاب ممتاز . هتفت "سمية":

-"أيوب"! . ضحك وقال:

-حسنًا حسنًا ..سأذهب.. . رشّها بما بقي من ماء على يديه بوجهها وتوجه ليجفف يديه وهو يقول ضاحكًا:

-"معتصم" يريد أن يعرف ردك قبل سفر والدي..

-"أيوب"! أغلق فمك..

-هه حسنًا..نظر لها أخيرًا ثم خرج. لقد كبرت بسرعة هذه الـ"سمية" .. تنهد بعمق وهو يتذكر طفولتهما سويًا..لقد مرّ كل شيء سريعًا..

دلف غرفته وارتمى على فراشه..تناول هاتفه وفتح يتصفح رسائله الواردة.. وجد رسالة قادمة من "آدم":

-مرحبًا "أيوب"! كيف حالك يارجل..ألن تأتي مع عمي؟ سيكون عندنا بحلول أسبوع تقريبًا..ما رأيك بزيارتنا؟

نقر على أزرار لوحة المفاتيح رادًا عليه:

-وعليكم السلام ورحمة الله..هل نسيت تحية الاسلام أم ماذا؟ .. (كثير من الوجوه الضاحكة) ... ثم أكمل:

-بخصوص سفر والدي..أغلب الظن أنني لن أستطيع ذلك.."آدم" انت تعلم ظروفنا هنا في "سلوان"[1] وصعوبة الإجراءات إضافة الى انني مرتبط بعقد مع

[1] "سلوان" هي القرية الأكثر التصاقاً بأسوار وأبواب القدس القديمة، من الناحية الجنوبية الشرقية المحاذية للمسجد الأقصى وحائطه الخارجي، وهي من القرى الكبيرة بفلسطين، وأكثرها سكاناً في التاريخ المعاصر.

شركتي في العمل..كنت اود ذلك ..اعذرني سأفعل في المرات القادمة..أشكرك على الدعوة.

قرأها مراراً قبل أن يضغط زر الإرسال ..ابتسم..لقد اشتاق لابن عمه "آدم"..مرت سنة على آخر لقاء لهما..تُرى هل هذا سبب عدم سفره..أم لأنه

ممنوع من التحرك خارج القرية بأمر من الأمن الاسرائيلي.. لن يتغير شيء ففي النهاية هو لن يستطيع القدوم..سواء أكان لذلك السبب أم السبب الذي أخبر "آدم" به..

بحث في الأسماء حتى وصل الى اسم "معتصم" وأرسل له:

-لقد أوصلت الطلب..كم تدفع لتعرف الرد؟

وجده متصلًا ..قرأ رسالته وأجاب بلهفة:

-قل ما تريد.

-اممم ..أربع وعشرون ساعة.

-هه؟ لم أفهم.

-مالذي لم تفهمه..أريد أربع وعشرون ساعة من عمرك.

-"أيوب"... . ضحك وأرسل:

-ماذا؟

لم يجبه ..بل اتصل به، رد "أيوب" على اتصاله وقبل أن ينطق صاح به "معتصم":

-أخبرني حالًا وكفّ عن السخرية. ضحك وقال:

-أقسم أنني لا أعلم..طلبتْ مني أربع وعشرون ساعة لتفكر..وانا أخبرتك..

-سُحقًا لك يا "أيوب"..وهل تستمتع بتعذيبي؟

-هههه ..أجل وماذا تظن؟ هذه البداية..أردت ان تكون زوج أختي فأهلًا بك...

-"والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس"...اللهم اجعلني منهم..حسنًا لا تتصل إلا لأخبار مهمة..أنا مشغول.

-بماذا؟ . قال بسعادة:

-قدمت طلبًا لزيارة والدي في السجن..آمل أن يُقبل. قال له مهنئًا:

-مبارك يا عزيزي، بإذن الله سيُقبل ..توكل على الله ..لقد أسعدتني بهذا الخبر..

-على أمل أن تُسعدني انت الآخر بأخبارك.

-هههه لا تقلق..سأبلغك حالما ترد.

-وبدون مقدمات مرعبة..

-حسنًا..سأحاول..

تلقى "آدم" اعتذار "أيوب" عن الحضور هذه المرة أيضًا..لقد مرّ الكثير على آخر لقاء لهما..اشتاق له..كان يذكّره ببلده الأم.. هناك في فلسطين..لقد تغلغت رائحة هوائها في ثيابه ودِفئ مناخها في ابتسامته..كم يشعر بالحنين للعودة هناك..لكنه الآن ملتزم بدوام جامعي ..وعليه ان ينتظر العطلة على أقل تقدير.

جائته رسالة قادمة من رقم "أمين" كان يقول فيها:

-السلام عليكم،"آدم" لقد سألت عن أحدهم بحاجة الى مهندس برمجيات..وافق بشرط أن يكون الشهر الأول بدون مقابل على أن يختبره ويرى مدى نفعه..على حد تعبيره، ثم يحدد بعدها ان كان سيُكمل معه أم لا..ما رأيك؟

فرح "آدم" بالخبر..رغم أن نصفه كان مزعجًا ..فالعمل دون مقابل هو آخر ما كان ينتظره، استشار والده فأجابه:

-إذا كنتَ بحاجة للخبرة يا بني ..فهذه فرصة جيدة فقلما هم من يرضون بإعطائها..أما إذا كنت تملك الخبرة وتبحث عن المال ..فلا جدوى منها.

صمت "آدم" قليلًا وهو يفكر..هو فعلًا بحاجة للاثنين معًا..الخبرة والمال..فقال:

- عن قولك للخبرة فأنا بحاجة لها فعلًا..ولا بد لي أن أحصل عليها كي أستطيع الحصول على المال لاحقًا..إذن هي فكرة معقولة أليس كذلك؟

-كما تراه مناسبًا..

-تعني انك موافق؟

-ما كان سيفيدك فلمَ أمانع؟ . قبّل رأسه وقال:

-جزاك الله خيرًا..سأخبره بردي.

-عليكم السلام "أمين"..أشكرك على اهتمامك بطلبي هذا كرم منك..أُعلمك أنني موافق..وسأبدأ في أقرب وقت..غداً؟

وجده يُرسل له بعد ان قرأ رسالته:

-أي كرم يا هذا..أنت "آدم"..وهذا واجبي..أجل يمكنك ذلك..بعد دوامنا الجامعي نذهب سويًا..ما رأيك؟

-حسنًا، وأشكرك مجددًا. -لا شكر على واجب.

ترك "آدم" هاتفه وتوجه الى غرفة شقيقته طرق البا ثم دلف، كانت "منى" تجلس على كرسي مكتبها تطالع أحد الكتب التي لم تكن يومًا تُفارقها:

-خيرًا.. مالأمر؟

-وجدتُ عملًا..

-حقًّا؟

-أعني ليس عملًا بطبيعة الحال ..فترة تدريب.

-تقصد أنه بدون مقابل. لا بأس بداية موفقة.

-أصبتِ..وفّره لي "أمين".

قالت "منى" بعد تردد:

-"آدم"..هل "أمين" يتيم أو شيء من هذا القبيل؟

-لمَ تسألين؟

- أ .. مجرد سؤال فقط.

-لا أدري، لم يخبرني يومًا عن حياته الخاصة.. وأنا لا أسأل..لكن مالذي جعلك تقولين ذلك؟

-حقيقة..أظن أنني رأيته في مركز الأيتام الذي تعمل به "أسماء" عندما كنت في زيارتها صباحًا..أعتقد أنني رأيته. رفع كتفيه وهزّ رأسه نفيًا وأضاف:

-لا أدري يا "منى"..أيًا كان..فأنا لا أنفي وجود قصة ما خلفه.فهو غريب الطباع الى حد ما ..ولا بد من سبب.

-حسنًا، يمكنك الخروج..لقد قطعت عليّ قرائتي بما فيه الكفاية.

-وهل الكتب أهم من شقيقك؟ ..ماذا تقرأين؟

-في بعض الأحيان..ضحكت وقالت:

-"إلى الظل" لـ"علي بن جابر الفيفي"..أي شيء آخر؟

-حسنًا أتركك أنت والظل ..لا تنسي أمر دوامنا الجامعي ليوم الغد.

في الصباح، استعد كل من "آدم" و"منى" للخروج..بينما اتصلت "منى" بـ"أسماء" ليلتقيا في مكانهما المعتاد في الجامعة. وهناك قرب المكتبة:

-لمَ تأخرتِ يا أسماء؟ . زفرت بحنق وقالت:

-لا شيء.. لم تُرد "منى" أن تسأل أكثر فأكملت قائلة:

-وهل انت جاهزة لاختبار اليوم؟

-أجل..مجرد اختبار قصير الأمر هيّن..بالمناسبة ألم تأتي "رحمة" بعد؟

-لا لم أرها..ربما تأتي بعد قليل..علّها في طريقها الى هنا، فكما تعلمين عليها أن تقطع كلية الهندسة كي تصل الى كلية الآداب..

تنهدت "أسماء" ثم قالت وهي تتذكرشيئًا ما:

-"منى"..سمعتُ في الحافلة العمومية أثناء قدومي للجامعة بعض آيات من القرآن تصدح من المذياع..أعتقد أنها من سورة "البقرة" ..كانت تقول:

"وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّه أَندَادًا يُحبّونَهمْ كَحُبِّ اللّه"..صمتت قليلًا ثم أكملت:

-أنا أؤمن بالرسائل الاهية التي قد تصل عن طريق آية قد أسمعها في مكان عام..ولذا قد فكّرت كثيرًا..وخطر ببالي عدة شخصيات أحبها..أهلي..

أصدقاء..كتّاب وأُناس مشهورين..تُرى هل أدخل بذلك منطقة الخطر وأكون ممن اتخذ أندادً لله ..وأصبح ضمن دائرة الشرك..أم ..لا أدري!

قالت "منى بعد تنهيدة خفيفة:

-أولًا ..فصحيح انها أية من سورة البقرة..أجل، من الجيد أن يهتم أحد بمثل هذه الرسائل التي قد تأتيه صدفة..سيشتشعر بذلك أن كل ما يلاقيه ما هو إلا من الله..أحسنتِ بتفكيرك ذاك..، حقيقة يا "أسماء"..فقد خطر لي سؤالك ذاته أكثر من مرة..فقررت أن أقطع الشك باليقين وبحثتُ في المسألة، فجهلنا بها ليس عذرًا فشبكات الانترنت تتيح لنا معرفة الكثير..ولا نملك حجة في ذلك.

-والى ماذا توصلتِ؟

-المقصود بالمحبة هنا..التبجيل و التعظيم..فمحبة الأمور محبة عادية والتي لا تستلزم الخنوع والتذلل لها تخرج من الإطار المعني، كمحبة الجائع للطعام ومحبة الوالد لولده..والصديق لصديقه، وهذه تُدعى محبة عامة. أما الأهم والذي يتطلب منا الوعي به وأخذ الحذر منه..هي المحبة الخاصة..محبة العبودية.

-لم أفهم؟

-المحبة الخاصة يا عزيزتي هي المستلزمة للذل والخضوع وكمال الطاعة..وإيثار المحبوب على غيره ..وهذه محبة لا يجوز تعلقها بغير الله. ما قولك؟ هل انطبقت هذه على ما تشعرين به؟

-بالطبع لا! ولمَ سأحبّ أحدًا لدرجة العبودية هذه.. لكن الشك قد راودني وأنا أستمع للآيات..لا أدري لمَ شعرت أنها تُخاطبني..أنا لا أتعلق بالاشخاص الى هذه الدرجة..لكني أخاف أن أقع بالشرك دون معرفة.

-لا داعي للجلبة هذه..الآية تقول ..أنه متى أحب العبد من دون الله شيئًا كما يُحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا ..و هنا يدخل في الشرك الأكبر.

-وكيف سأضبط نفسي..أصبحتُ أخاف من أن أحب أحدًا!

-الأمر مهم جدًا..لكنه لايستدعي كل هذا القلق والتخبط..لا أعني أن تتركي الحرص على مشاعرك وتعلقك بمن حولك..ولكن في نفس الوقت لا يجب ان تجزعي لكل صغيرة وكبيرة..عليك ان تنتبهي لبعض الأفعال المهمة..كي لا تدخلي في دائرة الشبهات..وتتجنبي ذلك قدر المستطاع.

-مثلًا؟

- مثلًا..أن يكون دعائك لله وحده فقط حين تطلبن الرزق أو الشفاء أو غير ذلك..وأن لا تنسبي الفضل لنفسك أو لسبب من الأسباب التي يَسرها الله لك..كأن تقولي لولا فلانة ما ارتديت الحجاب ..مثلًا..

انتبهت "أسماء" لما ترمي اليه "منى"..لكنها لم تُعلق فأكملت "منى":

-ومن المهم أيضًا التطرق لموضوع الخوف..كأن تعتقدي أن غير الله يضر وينفع..أو تساوي بين الله تعالى وغيره في الخشية..خصوصًا من تخشى أن يراها الناس..ولا تخشى مِن ربّ الناس..

أو أن تفعل ذلك خوفًا من أحدهم..وتخالف بذلك ما أمرها به ربها..فهي بذلك تخاف الناس أكثر من خوفها من عقاب ربها. وهذا موضوع يجب الاعتناء به.. فهناك الكثير من مثل هذه المواقف التي تمر علينا باستمرار.

-فعلًا..وهذا أمر مخيف بالفعل..قد لا يفطن له الكثير..فأيضًا مثلًا..

كأن ينسب الشفاء للطبيب الماهر أو للدواء الفعّال..أو أن ينسب توفيقه في الدين او الدنيا الى ذكاءه واجتهاده..إلا أن حقيقة كل ذلك هي ما بين حرفين يقولهما الله "كن"..وليس لما يُنسب لغيره سبحانه من الأسباب.

-بالضبط!..أو أن يعتقد أن مُسبب موت قريبه حادث سياره فجائي أو خطأ في العلاج ولولاه ما مات..فيغفلون عن حقيقة أن الله قد أمر بذلك وينسبون النتائج لمعطيات رأوها وينسون أن مدبر تلك المعطيات ومسبب الأسباب كلها ..هو الله وحده.

ابتسمت "منى" وعادت لتقول:

-حوار جميل..ما رأيك بجعله أكبر قليلًا؟

-كأن؟

-ندعو بعض الزميلات للنقاش حول هذا الموضوع..يمكننا أن نُفتّح آفاق لم يدركها إلا البعض..وأن نُثري ثقافتنا قليلًا بالنقاش.

-في الجامعة؟

-ولم لا؟ نبدأ مجموعة صغيرة من الفتيات ..ثم نتوسع أكثر..

-سأفكر في الأمر

-مالذي ستفكرين به؟

-أوه "رحمة" ..وأخيرًا ..أين كنتِ؟

-في الطريق، تأخرت حتى استيقظت..هيا ألن نذهب الى قاعة المحاضرات دقائق وتبدأ المحاضرة..توقعت أن أجدكما هناك ..لكني ذهبت ولم أجدكما..قلت أن آتي الى المكان حيث نلتقي عادة.

ضحكن "منى" وقالت:

-انت لا تعلمين..حضرة الدكتورة "أسماء" وزميلتها الدكتورة "منى" كانتا في حوار ساخن..

-عن؟

-تعالَي نُخبرك بالطريق..ها قد انضمت أُولى المشاركات لمشروعنا يا "منى"..ما رأيك؟!

ضحكتا معًا فقالت "رحمة" باستنكار:

-أي مشروع يا جماعة!؟ أنا لم أفهم شيئًا!

-نخبرك بالطريق..فلا أظن أن أيًا من يود أن يمضي المحاضرة على بابها من الخارج!

❖❖❖❖

خرج "آدم" مع "إسماعيل" من قاعة المحاضرات.

-"إسماعيل": ماهذا اليوم الممل..وأخيرًا انتهت المحاضرات..

-"آدم" بإرهاق: فعلًا..

-أين "أمين"..هل لديه محاضرات أخرى؟

-"آدم": علمت منه أن دكتور محاضرته الأخيرة سيزيد من وقتها نصف ساعة.

قال "إسماعيل" ساخرًا:

-يستحق ذلك..من قال له أن يختار تخصصه ذاك؟ ماذا قلتَ لي؟

-هندسة حاسوب.

-ولم لا ينضم الينا في البرمجيات؟

-تريد منه أن يحول تخصصه؟ لا أظن..كما أننا في عامنا الثالث..أتريد منه أن يعيد من الصفر!

-يمكنه أن يُعادل ساعاته التي أتمّها..

-"آدم": مامشكلتك معه..دعه وشأنه.

-لا، فقط أردت أن نكون معًا نحن الثلاثة..فلقد أحببته حقًا.

-هيه ولكنه لا يغيب عنا سوى لبعض المحاضرات..فموادنا متشابهة.

-الذنب ذنبي أردت لنا الجماعة..

-"إسماعيل"..أين كنت صباحًا؟.. لقد تأخرت..

-لقد استيقظت متأخراً..و..سرح قليلًا بنظره ثم أكمل:

-حصل حادث. هتف "آدم" بجزع:

-حادث!؟ أوه حمدًا لله على سلامتك..من كان معك في السيارة؟

ضحك "إسماعيل" وقال:

-لا..لم يكن حادث سيارات يا عزيزي..كان حادث بشر.

-لم أفهم؟..

-كنتُ في طريقي إليكما..ففوجئت بإحداهن تصطدم بي بعنف..كانت تسير على عجلة وكأنها تأخرت عن موعد ما..سقطت كتبها ومجموعة اوراقها بينما ترنحت هي الى الخلف..فوجئت بذلك..أتعلم..لم أصدق يومًا أن ذلك قد يحدث معي..

-حسنًا ومالغريب؟ ..هذا أمر عادي قد يحصل.

-استمع حتى النهاية..،انحنيتُ أجمع الأوراق معها فلفت نظري ورقة من بين الورق كانت تحوي بيتًا شعريًا..حملتها وقرأتها ببلاهة ..تصور ماذا كان.

-ماذا؟ . قهقه "إسماعيل" قبل أن ينطق:

-"طرقتُ الباب حتى كل متني فلما كلّ متني كلمتني

فقالت لي أيا إسماعيل صبرًا قلتُ أيا أسما عيل صبري

ثم رأيت اسمها آخر الورقة وكُتب: "أسماء رشدي"

-لحظة..أنا لم أفهم البيت الشعري جيدًا..

قال بانفعال: لم تفهمه؟! أساسًا كيف لا تعرفه! هذا البيت مشهور جدًا..كتبه "إسماعيل صبري باشا" لصديقته "أسماء"..بعد أن أجفاه بُعدها.

انفجر "آدم" ضحكًا: يا الهي!

-هههه يقول فيه: "طرقت الباب حتى كلّ متني".. والمتن هو العضلة التي تصل الكتف بالذراع..أي حتى تعب ذراعي من الطرق "فلمّا كلّ متني" أي أنني عندما تعبت وأُرهقت تمامًا من ذلك "كلمتني"فتحتِ الباب وحدثتني "فقالت لي أيا إسماعيل صبرًا" قالت لي اصبر يا إسماعيل "فقلتُ أيا أسما عيل صبري" فقلت لها يا أسماء لقد تعبت ونفذ صبري ولم أعد أحتمل.

انفجر "آدم" ضحكًا مجددًا:

-وقلتَ لي أن اسم الفتاة "أسماء" أيضًا.

-أجل..هل هناك صدفة يمكن ان تحصل بهذا الشكل؟

-يا صاح هذه أعجب قصة أسمعها في حياتي..ماذا كان رد الفتاة؟

-كانت متوترة جدًا عندما شاهدتني أقرأ الورقة..هي لم تنطق بشيء سوى "أعتذر لم أنتبه" ثم حملت أغراضها واختفت كما ظهرت.

-أوه يا "إسماعيل" ..لقد أحرجتها!

-صدقني أنا أيضًا كنت مصدومًا مثلها على الأقل..تُرى هل تقصدني في بيتها الشعري؟

-ماذا تقول أيها الأبله..كيف تقصدك وهي لم ترك مسبقًا؟

-شككت في ذلك فمظهرها لا يوحي بأنها على علاقة مع أحد..كانت بحجابها وملابسها المحتشمة..فنفضت عن رأسي أوهام نسجها الموقف الغريب..لكني لا يمكنني الجزم..فأنا لا أعرف عنها شيئًا.

-دعك بالله عليك من القصص البلهاء هذه..لو كانت الفتاة مهتمة بك فلا يجب عليك أن تهتم بها أن الآخر..لا تشاركها المعصية ان كانت..أنت تعلم أن شيئًا كهذا لا يصح..تُرى هل أثّر مظهرك الجديد على مبادئك القديمة؟

-"آدم"! كيف تقول ذلك..أنا لن اتغير لأنني جددت مظهري! لستُ ساذجًا لهذه الدرجة..كل ما في الأمر أنني عملت تحديثًا لشكلي السابق وفقط!

ربّت على ظهره مهدئًا:

-أعتذر..لكنك أفقدتني صوابي..فقد كنتَ تلمحُ لشيء ما.. قاطعه:

-كفى يا "آدم". جاء حينها "امين":

-السلام عليكم.. –وعليكم السلام

-ماذا هل أنهيتما؟

"إسماعيل": نحن ننتظرك منذ مدة..وتسألنا هل أنهنا؟! ..هيا يا رجل.

ابتسم "أمين وقال:

-أقدم اعتذراي يا سمو الأمير..هيا بنا اذن.

في البداية كان "أمين" يتضايق من مظهر "إسماعيل" لكنه وجده شابًا جادًا للغاية..شكله يُخالف طبعه بشكل كبير..لا يفهم لمَ يحب الناس أن يكونوا في موضع شك بسبب مظاهرهم التي بإمكانهم التحكم بها..ولكن بالرغم من كل ذلك..فقد احب صحبته هو و"آدم".

أنهت "أسماء" و"منى" و"رحمة" محاضراتهم وقبل أن يخرجوا من القاعة.

-"رحمة": كيف جاوبتن الواجب؟ ما كان حلكما؟

-"منى": كنتُ قد كتبت تقريرًا أولاً عن "الجِناس"[1] وأنواعه في اللغة ..ثم طرحتُ مثالًا..

-"رحمة": والمثال..ما كان المثال؟..لقد وجدتُ أثناء بحثي أبياتًا كثيرة من هذا النوع..أُعجبت به بشدة..أتوق لمعرفة ما كتبتِ.

-"منى" : هو الدهر مغرىً بالكريم وسلبه

فإن كنت في شكٍ بذاك فسل به

وبيت آخر:

يا من يضيع عمره في اللهو أمسك

وعلم بأنك لا محالة ذاهبٌ كذهاب أمسك.

[1]الجناس: محسن بديعي لفظي يكون عند اتفاق الكلمتين أو تشابههما في اللفظ واختلافهما في المعنى، يكثر استخدام الجناس في الأدب العربي وعلى وجه الخصوص الشعر.

-ياه..جميلٌ جدًا..اسمعي بيتيّ انا:

ان لِلوَجْدِ في فؤادي **تراكُم**

ليت عيني قبل الممات **تراكُم**

والآخر:

لا تعرضن على الرواة قصيدة

مالم تكن بالغت في **تهذيبها**

وإذا عرضت الشعر غير مهذبٍ

ظنوه منك وساوس **تهذي بها**

-"منى": رائع..و"أسماء"؟

نظرت لها "أسماء" بعد ان سمعت اسمها ..لا يبدو انها كانت تستمع للحديث أصلًا.. كان ذهنها في مكان آخر ..فأنقذتها "رحمة" بقولها:

-هيا ..مالبيت الذي كتبته مثالًا للجناس؟

صمتت قليلًا ثم قالت بملل:

-طرقتَ الباب حتى **كلَّ مَتْنِي** فلما **كلَّ متني كلّمتني**

فقالت لي أيا **إسماعيل** صبرًا قلت أيا **أسما عيل** صبري

صفقت الاثنتان بمرح

-"رحمة": يالهي! ويحمل اسمك أيضًا!

-"منى": يا سلام يا سلام..ومن هذا "اسماعيل"؟

ضحكت "أسماء" مُرغمة:

-صديق "أسماء"..ومن يكون ..ألم تفهمي البيت الشعري؟

قالت "منى" ضاحكة:

-أعلم أعلم..أردت فقط ان اتأكد..ثم غمزت لها بعينها..

-كفى يا "منى"! . ضحكت "رحمة" وقالت على عجلة:

-هيا بنا فلنحرج ..لقد أُفرغت القاعة إلا منا..

خرجن معًا. كان الدوام قد انتهى بالنسبة لهن فافترقن على نية اللقاء غدًا.

التقى "آدم" بـ"منى" عند بوابة الجامعة كما أعلمها..ثم انطلقا عائدَين..

-أتعلمين أن عمي سيأتينا خلال الأسبوع القادم؟

قالت بفرح: حقًا وهل سيأتي أبناؤه معه؟

-اعتذَر "أيوب" عن الحضور وبالتالي..لا أعتقد ان "سمية" ستأتي..

-.. هذا مؤسف.

-ربما نزورهم نحن في العطلة القادمة..ما رأيك؟

-ستكون رحلة رائعة..أنا موافقة من الآن..

-أنت تسيرين ببطئ..أسرعي قليلًا..

-ولم العجلة؟

-أنسيتِ..اليوم اول أيام دوامي في عملي الجديد..

-حسنًا..لكني سأشتري كتابًا من دار النشر كالعادة.

-لا بأس..فلنسرع اذًا.

❖❖❖❖

أنهى "أمين" يومه الشاق، وعاد من العمل..كان يشعر بالرضا..لقد استطاع ان يساعد صديقه..وكانت سعادة من حوله تكفيه لتجعل يومه سعيدًا.

-مرحبًا جدي..كيف حالك ؟

تنحنح قليلًا ثم قال:

-بخير يا عزيزي. كان يعلم ان جده ليس على ما يرام في الآونة الأخيرة لكنه لم يكن يملك ما يستطيع أن يساعده ويعالجه به..كما أن جده أقنعه مراراً أنها مجرد أعراض الشيخوخة لا أكثر ولا أقل.

أعد كأسين من الشاي ثم حضر ليجلس معه..

-كيف كان يومك يا "أمين"؟

رشف قليلًا من كأسه ثم وضعه وأجاب:

-ممتازًا، لقد استطاع "آدم" أن يدوام في عمل قريب مني ..وكل شيء على ما يرام.

ضحك: سألتك عن نفسك..لا عن "آدم"..

ابتسم ثم قال مغيرًا الموضوع:

-جدي..أنا خائف على صحتك..ولكني في ذات الوقت لا أملك ما أفعله..أرجوك أن تعذر تقصيري.

ابتسم بحنان بالغ:

-عزيزي "أمين"..لا تقلق بشاني..اهتم بنفسك انت..أنا لم يبقَ لي من العمر بقدر ما قطعت..بينما أنت فلا يزال أمامك الكثير..وأنت أولى على نفسك من الإهتمام بي.

-جدي أرجوك لا تتكلم بهذا الشكل ... أنا فقدت عائلتي وقطعت عمري بمفردي إلّاك..لم أعرف حُضنًا غيرك..ولا اهتمامًا إلا منك..صدقني انت بالنسبة لي كل شيء..أنت كل ما أملك..إن رحلت ستتركني وحيدًا..ان رحلتَ انت ستنطفئ أيامي ..وتجف ينابيع سعادتي..سأصبح هشيمًا ..ثم تذروني الرياح..أيرضيك ذلك؟ أنت تعلم ما انوي فعله ولكنك ترفض باستمرار..لكن بإذن الله..سأفعل ما أريد بعد الآن.

اغرورقت عيناه بالدموع وقال:

-لا يا "امين"..أنا لن أقف عائقًا أمام مُستقبلك..لن أرضى أن أتلقى العلاج على حساب نقودك التي تجنيها لتنفق على تعليمك الجامعي.

نهض "أمين" واحتضن جده وهو يقول:

-بل سيحصل، قبّله من رأسه ثم نهض يُعدل وضعية جده ليجعله مستلقيًا..أعانه في ذلك..ثم أطفأ الأنوار وقال:

-أعلم انني أُسهرك كثيرًا.. والآن تُصبح على خير.

اختفى قبل أن يسمع ردًا..اتجه نحو غرفته واستلقى على فراشه بتعب.. لمَ هو مسؤول عن كثير من الأشياء؟ ..تُرى لو كان والده موجودًا أكان سيشعر بهذا الارهاق..

ابتسم وقد لاحت له ومضات من الماضي..كان الطفل جالسًا مع والده في السيارة:

-أبي متى سنصل ..أنا لا أحتمل الألم..وأشار الى فمه.

-يا عزيزي اصبر قليلًا..سنصل في الموعد لا تقلق. كانت أزمة المرور قاتلة والجو جاف وحار ويبدو ان والده يشعر بالاختناق لكنه لا يزال يحتفظ بهدوء قصير الأمد..

-أبي..انظر الى تلك الهرة..يبدو انها تبحث عن امها..الجو حار في الخارج..هلّا ساعدناها..

هتف والده بضيق:

-"أمين" لا تكن أبلهًا..

قال الطفل غير آبه لما تعرض له من التوبيخ:

- اه ..ابي انظر..إنه يبيع الحلوى..أريد واحدة منها..

-اهدأ يا ولد!..أي حلوى ونحن ذاهبون لطبيب الأسنان! أغلق فمك وكفّ عن الثرثرة..بالكاد أحتمل هذا الزحام المروري..الجو ليس بحاجة لمزيد من الإزعاج.

صمت قليلًا..لا يذكر انه كان يومًا يأبه لتوبيخات والده.. لفت نظره شاب مُرهق يقف على ناصية الطريق..

تمتم بخفوت: ليتني أستطيع مساعدتك..

-ماذا قلت؟

-أ ..أبي.. نظر الى حيث يقف الشاب ثم عاد ليلتفت الى والده وأكمل:

-انظر اليه..لا بد انه يريد أن يقله أحد..ربما لا يملك أجر سيارة الأجرة..الجو حار جدًا..ويبدو انه متعب..

-"أمين"! كفّ عن التفكير في من حولك..انظر لنفسك وحسب!

بكى "أمين" وقال:

-لكنه بحاجة للمساعدة! أرجوك.

أطلق زفيرًا غاضبًا وقال:

-اذا لم تجلس في مكانك وتتوقف عن مدّ رأسك الى جانب أذني فإني سألقيك من السيارة.

أجهش باكيًا:

-حسنًا أنزلني..أريد ان أذهب اليه..

قال بغيظ: اصمت...حسنًا.. . أنزل والده زجاج السيارة بعد أن كان مغلقًا ليحافظ على التكييف الذي كان يعمل:

-أنت..تعال لأوصلك. أشرق وجه الشاب وكانما رأى اليابسة بعد تيه في المحيط:

-جزاك الله خيرًا يا عمي.. جلس بجوار "أمين" في المقعد الخلفي وقال:

-أوصلني فقط بعد هذا الشارع الى اليمين بعد اذنك..واقطع بي المرتفع الاسفلتي..ثم سأكمل وحدي.

-ماذا تقول؟ ولكني مُلتزم بموعد..وطريقي الى الجهة المقابلة تمامًا.

أجفل الشاب وتلعثم باحثًا عن حل..لكن الطفل الذي بجواره صاح:

-أبي ..لم أعد أشعر بألم..فلنوصله.

-لم تعد تشعر بألم!؟ وبماذا أخبير الطبيب؟

-أخبره أنني لن آتي..سيفرح بذلك أساسًا..فلن يتعب لأجلي وهو يصلح أسناني..سيكون الطبيب سعيدًا أيضًا..

قال بغضب قاطعًا استرساله:

-حسنًا.. تأفف وهو يغير طريقه استجابة لطلب ابنه..يبدو انه لا يستطيع ان يرفض له أمر..كم كان يحبه!

مرت ربع ساعة حتى وصل الشاب الى وجهته:

-عندك يا أبي..

-"أمين": أبي؟..هذا ليس أبوك..إنه أبي أنا

ابتسم بخجل ثم التفت الى الطفل وقبّله ثم قال:

-ومالمشكلة؟ ما رأيك ان نكون إخوة؟ . أومأ الطفل مبتسمًا ببراءة:

-لكن عليّ ان أخبر "مأمون" حتى يكون على علم بأخيه الجديد.

-"مأمون" هو شقيقنا أليس كذلك؟

-أجل.

-لا بأس أخبره أن لديه أخاً كبيرًا..

-أكبر مني؟

-هه بالطبع..قال مخاطبًا والده:

-لن أنسى معروفك هذا أبدًا..ودّع "أمين" وهو يقول:

-شكرًا أخي..أراك مجددًا.

انطلق والده بعدها عائدًا الى طريقه..الى طبيب الأسنان..صاح غاضبًا:

-تأخرنا نصف ساعة أيها الشقي..ماذا سنقول للطبيب؟!

تذكر نه كان يتألم قبل قليل ..فقال بصوت باكٍ:

-أبي..فمي يؤلمني..متى سنصل؟

-قال والده بحزم: لا تبك..أنت رجل يا "أمين"..أنت الأخ الأكبر..

انحبست الدموع في عينيه: حاضر..لن أبك.

وصلا الى موعدهما، وتوجه الى موظفة الاستقبال يقول متأسفًا:

-أعتذر.. لكنها قاطعته قائلة:

-لا مشكلة.. فلقد تأخر الطبيب عن الحضور لظرف طرأ عليه..وسيكون هنا بعد دقائق..

نظر بتعجب ثم تمتم بالحمد..اصطحب ابنه الى غرفة الانتظار وهناك احتضنه قائلًا: أيها الولد الشقي!

-مالأمر أبي؟

-لا شيء..أحبك فقط..هل تمانع؟

ضحك بسعادة: وانا أيضًا..

توقفت الأحداث عن التسلسل ..وانتهى المشهد..لتعود الصورة الأصلية..سقف غرفته..

قال وقد دمعت عيناه:

-وأنا أيضًا..أنا أيضًا أحبك يا عزيزي.

❖❖❖❖

تحركت تُعلم رئيس المركز بحضورها..ثم اتخذت مكان عملها..كان ذهنها يردد طوال الوقت:

-غبية..مجنونة.. بل أكثر من ذلك..كيف أمشي كالعمياء دون ان انتبه..ماذا سيقول عني الآن؟ فتاة تافهة تكتب الشعر لصديقها..لا والأدهى اسمي الذي كان يزين الورقة! ..تمنيت أن تنشق الأرض وتبتلعني..أو أن تتركني روحي وتصعد الى بارئها ولا أقع في ذلك الموقف..الذنب ذنبي..لكنه تمادى في التعدي على خصوصيتي وأوراقي وقرائتها، كان متعجبًا جدًا..ترى هل جذبه شيء ما؟..أشعر بالاختناق وأنا أتخيل أنه اسمه قد يكون "إسماعيل"..حينها ستكتمل الحكاية.

..لكن..نيتي لم تكن سيئة..أنا لم أكتبها لأحد معين..مجرد حل للواجب الذي طُلب مني..أُعجبت بالبيت الشعري لأنه يحمل اسمي..فقط. لا أكثر ولا أقل، لكن ..ليت الجميع يتعاملون بصفاء النية ذاتها لما نهشت الأفكار رأسي بهذه الطريقة...

أستيقظت على صوت سقوط الكأس وتحطمها..

-ألن تنتبهي يا هذه! . كان مدير المركز في جولة تفقدية حينما شاهدَها تُسقط كأس الزجاج.

-آسفة..سأجمعها حالًا..

-لستُ مسؤلًا عن غفلات الموظفين السذج..هذه تُخصم من راتبك.

أرادت ان تقول: تُخصم من راتبي؟ بمقدار كم؟ دينار..ربما نصف دينار؟..كم انت مادي..ألا تحمل في قلبك رحمة للمكان الذي تتواجد به على الأقل..

-أتكلم معك..الا تسمعين؟

قالت بحنق: أعتذر.

-انذارك الأول..ستندمين بعدها..قالها ثم انصرف..

أخذت نفسًا عميقًا وهي تقول في نفسها:

-أنا لم أفعل شيئًا!..سقطت سهوًا فقط...لكن مجددًا..ليت الجميع يتعاملون بصفاء القلب ذاته.

حاولت ان أستجمع نفسي لبقية الدوام..كي لا أُوقع نفسي بمشكلة انا في غِنى عنها.

مرّ كل شيء على خير..انتهى وقت العمل وعدت لمنزلي. سلّمت على أمي وذهني مشغول بالكثير..بدلت ملابسي ثم خرجت لأتناول طعامي..

منزلنا يحتضن خمسة أبناء أنا أكبرهم..ووالدتي، أما والدي فهو يعمل خارج البلاد..يحوّل لنا النقود بين فترة وأخرى..بالكاد نراه مرة في العام..مشغول جدًا..أقدر تضحيته التي يقوم بها كي يعيل أبناءه..لكن بعده هذا يشعرني بالنقص..فأنا حقًا بحاجة الى قربه.

-ما بك؟

جاء صوتها من بين الفوضى العارمة التي يفتعلها إخوتي الصغار.

-لاشيء..مرهقة من العمل فقط..

-لقد حذّرتك..لكنك لا تستمعين للكلام..كان بإمكانك أن تعملي في مكان أفضل وبوظيفة عمل أكثر راحة..وتهتم بتخصصك..لكنك رفضتِ.

-أمي..لا يوجد عمل بلا تعب.

أطلقت زفيرًا ثم ابتسمتْ بإرهاق:

-أتعلمين..إنني اتواجد في هذه الفوضى طيلة اليوم..أحيانًا أتمنى لو أنني أخرج للعمل بدلًا منك.

تعجبت من كلامها، فأوضحت أمها:

-اعذريني يا حبيبتي ان كنت قد قسوت عليك في السابق..لكن الظروف صعبة..وأنت تعلمين.

-أمي..هل فتحتِ الدرج الخامس من لوحة الادراج المُلحقة بغرفتك..واخترت الدفتر الأخضر ثم الصفحة الثالثة منه.

ضحكت وأجابت: أجل، لقد قرأت الورقة..كنت أرتب الدرج حينما سقطت تلك الورقة الغريبة..كانت مطوية بعناية ومكتوب على ظاهرها بخط يدك "أحبك".

أطرقت "أسماء" بخجل وحركت الملعقة في صحنها..

أكملت الأم: حبيبتي أنا لم أرد لك سوى ان تكوني سعيدة.

-وهل وقوفك ضد ارتدائي للحجاب سيسبب سعادتي.

-هكذا ظننت..أردت ان اختار لك ما اخترته لي..فأنا لم أرتده إلا بعد زواجي من والدك..كما أن معظم أقاربك يفعلون الشيء ذاته.

-أمي..أعلم لكم تحبينني.. لكن على حبك هذا ان يقودني للصواب ..لا إلى المعصية...ثم نهضت واحتضنتها قائلة:

-أرجو ان نبدأ صفحة جديدة معًا..موافقة؟

أصدرت صوتًا يوحي بالإيجاب..ثم سألت:

-ولم أخفيت الورقة في ذلك المكان بالتحديد؟

-كنت احاول شرح وجهة نظري إليك..لكن الغضب لم يكن يفارقك، اعتنائك بشؤون المنزل يسبب لك توترًا كبيرًا..فلم أجد جدوى من إيضاح مقصدي بطريقة أخرى..

لاحظتُ انك ترتبين أغراضك في جو هادئ..فقررت أن أضعها في مكان ستجدينها فيه فقط وأنت بتلكما الحالة..واخترت ذلك المكان لأني أعلم انك لا تفتحينه سوى لترتيبه بين الفينة والأخرى..فهو يحوي عدة أوراق تهم أبي..وهناك يوصيك والدي بالحرص على بقائها مرتبة كلما طلب منك أي تعديل عليها.

-ياه..هذا تطلب منك مدة من البحث والإعداد.

ضحكت بخفة: وماذا كنت تظنين؟

أنهت طعامها..ثم توجهت لغرفتها..تبدلت مشاعرها تمامًا عمّا كان يعتريها في الصباح..سُعدت كثيرًا.حتى أنها نسيت ما كان يُشغل بالها منذ أن عادت.

أرادت أن تسترجع ما كتبته في تلك الورقة التي استطاعت بها أن تشرح لأمها موقفها ..تناولت النسخة التي تحتفظ بها في خزانتها وشرعت بالقراءة:

"من تلك النطفة التي كانت جنينًا في رحمك يومًا ما..من تلك الطفلة التي كانت في حضنك تبكي ذات ليلة..من تلك الفتاة التي كنت تُلبسينها حقيبتها المدرسية كل صباح..ومن تلك الشابة التي احتضنتك بفرحة وهي تُقرّ بأنها اجتازت اختبارات الثانوية العامة.. من "أسماء".

لا أدري كيف مرّ كل ذلك..فأنا الآن طالبة جامعية من كلية الآداب في عامي الثالث، ..أمي..كثيرًا تمنيت ان أكون الفتاة المدللة التي تحظى بكل ما تشتهي وزيادة..ولكني خُلقتُ لأكون الكبرى، لا أقصد أنني لم أكن سعيدة يومًا بذلك..ففي بعض الأحيان يمنحني منصبي بعض الامتيازات..

كنتِ دائمًا تريدينني أن أكون الأفضل ..أن أكون تلك الطبيبة التي يُشار اليها بالبنان..لكن ذلك لم يكن هدفي فأنا لم أحب الطب ودراسته يومًا..لذا أشعر بالسوء لأنني لم أحقق لك أمنيتك..وهذا ربما يُشعرك بالغضب نحوي.

أوقن أن رضاكي من رضا الخالق..وأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصانا بك ثلاثًا..

ولكنه صلى الله عليه وسلم قال أيضًا: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"

..لم أرد ان أجرحك بصراخي وصوتي العالي..ولم أرد يومًا أن أراك غاضبة مني..لكن هذا أمر وهو محتم عليّ..ومن المفترض ان أقوم به منذ زمن..فليغفر الله لي تقصيري..لكن الآن أنا أعلم..وهنا تُرفع الحجج..

لم أرد أن أردتي الحجاب لأناكفك وأخالفك أو أكسر خاطرك..بل على العكس تمامًا..أردت أن أُسعدك وأُشعرك أنك تملكين ابنةً يافعة..يمكنها الاختيار بمفردها..

أردت أن نكون معًا في الجنة..فأنا لا أتخيل شيئًا دون ذلك.

اعتذر ان تعديت حدودي بفتح درج والدي دون اذن..لكني لم أجد طريقة أُخرى.

ابنتك: "أسماء" "

ابتسمت بسعادة..لقد أثمرت خطتها نجاحًا..ستدعو الله ان يديم هذه الطمأنينة والأُلفة بينها وبين والدتها..ربما ما كانوا يعيشونه من ضنك ليس سوى لأسباب المنع الغريبة التي تُفرض بهذا الشكل..لمجرد انها كانت تُطبق في الماضي..ولا بد من تنفيذها على الحاضر..آه ..الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

انتبهت الى صوت رسالة قادمة من هاتفها الجوال..كانت قادمة من "منى" فتحتها وقرأت:

-مرحبًا "أسماء".. تذكرت أمرًا... ثم أكملت قائلة:

فكرة محاضرتنا التي اقترحتها..ما رأيك هل نكمل..أم نقتل الفكرة وندفنها؟

حركت انامليها على لوحة المفاتيح وأرسلت:

-يا للإجرام! ولم؟

-حقيقة لم تكن الفكرة سوى بدافع التحمس الزائد ..انها الطاقة التي تأتي في الوقت الخاطئ..

- لم أفهم..لم نتراجع؟

-يا عزيزتي، هل انت مستعدة للوقوف أمام الناس واخبارهم عما سنتحدث عنه؟

- .....

-وهذا هو..أنا لستُ بتلك القدرة على مواجهة غيري..أعلم انني تسرعت في إطلاق الفكرة..لكني عدت وفكرت..الموضوع صعب جدًا..نحن سنتكلم عن آية في كتاب الله..عن..كلام الله..أردتُ ان أوضح لك الأمر..

-اممم فعلًا..

-كما انني لست متمكنة في هذا النوع من الحوارات أخاف ان يلجم أحدهم لساني بحجته..فأعجز عن الكلام..الأمر يفوقنا.

-خطرت لي فكرة.. أليست المشكلة في موضوع النقاش؟

-حسنًا؟

- بمكننا ان نلغي هذه النقطة..ممنوع النقاش.

-هيه ماذا نقول لهم..اذا سمحتم لمن يريد الاستماع لنا..عليه بوضع لسانه عند الباب قبل الدخول؟

-لا يا عبقرية..يمكننا أن نلغي أمر المحاضرة والإلقاء الجهوري..ونوزّع أوراق ومنشورات بما نريد ان نوصله من فكرة.

-..جميل..

-يمكننا أيضًا نجنبًا للنقاش الوجاهي..أن نترك رقم هاتف لمن يريد أن يتواصل ويستفسر عن نقطة معينة..ونحن حينها سنأخذ راحتنا بالبحث عن إجابة شافية دون ان نضطر للوقوع في مواقف محرجة مختلقة..فيكون التواصل عن طريق رسالة تُرسل للرقم المُرفق مع المنشور.

-أنت رائعة يا "أسماء"..هذه فكرة عظيمة..لا بد ان مزاجك جيد الآن..

-بالفعل..

-حسنًا سأعرض الفكرة على "آدم"..علّه يتولى مهمة الطباعة وإعداد المنشور..بينما نحن ننشغل بكتابة النص..ما رأيك؟

-كما تريدين..سأُعلم "رحمة"..كي لا تتهمنا بالخيانة ..

-هيه لا بأس.

تمّت الرؤية الشرعية، وتعرفت "سمية" على "معتصم"..علمتْ أنه خريج طب بشري من جامعة "النجاح" في "نابلس"..وُلد في "سلوان" أي هنا في ذات القرية..والده مُعتقل في سجون الاحتلال منذ ثلاث سنوات اعتقالًا إداريًا..يجهل الجميع متى سينقضي أجله.

يعمل في مستشفى "المقاصد" في "جبل الزيتون" أي على بعد ثلث ساعة تقريبًا من هنا..وقد أخبرها أنه في حال وافقت عليه، فإنه سينتقل للإستقرار هناك قرب عمله.

-ما رأيك أبي؟

-الأمر يرجع اليك ابنتي..لكني وجدت فيه نِعم الشباب..طَموح ولديه هدف واضح في حياته..شاب ملتزم يخاف الله..باختصار يا حبيبتي..فإني موافق مادمتِ موافقة.

-حسنًا ..سأستخير أولًا.

-اسمعيني يا "سمية"..سفري الى الأردن سيكون الأسبوع المقبل..وأنا أود أن اعرف ردك، فإن كان بالموافقة فإنني سأعقد قرانك عليه قبل سفري..على ان نُقيم العرس بعد ذلك..أريد أن أطمئن عليكِ.

-وهل أخبرت "معتصم" بهذا؟

-أجل..وما ننتظره الآن..هو كلمة منكِ.

أطلقت زفيرًا طويلًا:

-كما أخبرتك..سأصلي الاستخارة أولًا.. وسأعلمك بردي . نهضت واتجهت حيث أمها ترتب في المطبخ:

-لن أسألك عن ردك..فلم يمضِ على مغادرته سوى دقائق..لكني سأسألك عن رأيك به؟

قالت "سمية" بعد أن زمّت شفيتيها:

-جيد.. غمزتها أمها وقالت:

-فقط؟ ضحكت:

-ماذا أقول؟! ..حسنًا ..ما رأيك أنتِ؟

-كما ترينه مناسبًا..عن والدته فهي طيبة جدًا..أما عنه هو..فهو شاب مهذب ممتاز..لكن هل أنت على استعداد للذهاب معه الى "جبل الزيتون"؟

-المكان ليس بذاك البعد..فهو هنا..في القدس..على أية حال..لا أدري.

-لقد استحسنه "أيوب" كثيرًا..تعلمين أنه صديقه..وهو بالتأكيد يعرفه أكثر مني ومنك..وبما أنه وافق في البداية..فهو مطمئن له.

-خيرًا ان شاء الله..

ثم توجهت عائدة الى غرفتها..تذكر تفاصيل ما حدث وتحاول تكوين صورة واضحة عن ردّها.

وعلى الجهة المقابلة:

-ما رأيك بها أمي؟

-فتاة ملتزمة..مثقفة..وجميلة..ماذا أريد غير ذلك لابني..كما أن أهلها طيبين جدًا.

ابتسم بفخر وقال مازحًا:

-وماذا ظننتِ أن ابنك سيختار.

ضحكت وأكملت مازحة:

-يا سلام يا "معتصم"..اذن انت بارع في هذه الأمور..

تلعثم قائلًا:

-أ..تقريبًا..

ضحك شقيقيه الأكبر الذي يتولى القيادة:

-لا تمازح والدتي..أنت لا تستطيع مجاراتها..

-ايه يا "محمد"..لا تتدخل أنت..

رفع يديه باستسلام:

-لن أتدخل..لقد اجتزت مرحلتك هذه منذ مدة..العُقبى لِـ"محسن".

-"محسن": لا..مازال الطريق طويلًا أمامي.

دفعه "معتصم" من كتفه:

-كلها بضع سنوات وتلحق قافلة أخويك..أم أنك لا تفكر بالزواج؟!

-أ أ ..كفى "معتصم"!

ضحك الثلاثة معًا، شاركتهم والدتهم ذلك..وهي تحمد الله في سرها على طِيب العلاقة بين أشبالها الثلاث..مما عوضها ولو بالقليل عن زوجها وفقيدها الأسير.

-أمي..

-نعم يا "معتصم"؟

-لقد قدمت في طلبٍ لزيارة والدي.

-حقًا؟

-أجل، وسيكون بعد أسبوعين..أودعت أسمائنا جميعًا..سننتظر ردًا من الصليب الأحمر.

-ان شاء الله يكون من نصيبنا جميعًا هذه المرة..

-آمل ذلك.

❖❖❖❖

(يُحبونَهم كَحُبُّ الله)

"السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية من أُختك وبعد..

لفت نظري أنا وبعض الزميلات قوله تعالى:"وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَندَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ الله".

حسنًا..أولًا ما هو الحب؟

-احساس عظيم..وقوي يشعره المرء اتجاه شخص ما أو شيء ما، الأمر الذي يجعله ينجذب له عاطفيًا بشدة ويتأثر به.

اممم كيف نعلم أننا نُحب؟ أعني..ما مظاهر ذلك؟

-التفكير المستمر به.

-الاشتياق الدائم له.

-الشعور بالثقة عندما تكون بالقرب منه.

-الرغبة بالتطور وتغيير حياتك للأفضل بطريقة ايجابية..لتكون بجانب من تحب.

-الاستعداد لتقديم بعض التنازلات.

-شعور المُحب بالارتياح والكشف عن نقاط ضعفه وأخطائه عندما يكون معه.

جيد،..هذه بعض المظاهر..يمكننا أن نستنتج من ذلك; أن الحب ..شعور نقي يربط بين طرفين بشكل وثيق..وأن من يُحب لا يمكنه أن يُشغل نفسه بغير من أحب..بل هو مستعد لإعطائه كل ما لديه دون مقابل..باختصار..لن تكتمل حياته بدونه.

فلنتوقف قليلًا... كم منا يملك شخصًا كهذا في حياته؟

البعض.. المعظم..بل كلنا! ..قد تكون أمي، أختي، أخي، شخصًا ما تعلقت به، أحد ذو شهرة طاغية..ربما قد يكون هذا المحبوب قطعة شيكولاته! لم لا؟ أولا ينطبق عليها بعض المظاهر؟

يقولون ان حُبّنا للأهل والأقارب..يعد من محبتنا الطبيعية لما حولنا..وهنا يكون الحب ضمن نطاق طبيعي..لكن ما نقصده نحن..أمر أوسع من ذلك..أن يتطور مفهومنا للحب..ليصبح ندًا لمحبوبنا الأول ..والذي يجب أن يتصدر قائمة المعشوقين..ألا وهو الله.

تقول احداكن:

-حسنًا بالتأكيد لن أنكر حبي لله..فإن فعلت..فقد خرجت من الملة..هذا أمر بديهي.

وأنا سأسألك..هل أبديت أيًا من مظاهر الحب السابقة لله..الذي جزمت بحبك له؟

-بالطبع! أنا أُصلي وأصوم وأقرأ القرآن..أُرضي والدتي وأُعاون صديقاتي ..أرتدي الحجاب..ماذا تريدين أكثر من ذلك!

اممم أريد جوابًا لسؤالي التالي: هل تفعلين كل ماسبق من عبادات بدافع من حبك..أم فقط تنفيذًا للأمر؟

هناك من ستقول بثقة:

-وكيف سأنفذ أمرًا دون ان أُحب مُشرِّعه؟..أنا أحببت فأطعت.

وهل تستشعرين ذلك بصدق..في كل فرض تؤدينه؟

-هذه الأمور تحتاج جوًا رائقًا..وذهنًا صافيًا..وهذا لا يتوفر دائمًا..لا أجزم انه دائم.

سآخذ حالة سليمة..مثلًا، أنتِ تملكين صديقة محببة الى قلبك بشدة..هل من الممكن أن تسلمي عليها صباحًا دون أنت تنظري إليها أو حتى احتضانها؟ ... لا ..هل من الممكن أن تعامليها بجفاء فقط لأنك مشغولة..لا..بل ستخلقين الجو الرائق الذي تحدثتِ عنه ..من

بين كل ما تمرين به، لأنك لا تريدين منها أن تأخذ على خاطرها منك بسبب تصرف أبله..وهذا هو..هل من منكر؟ لا.

-والى ماذا ستصلين؟

أريد ان أصل الى مفهوم عميق ..متأصل في عقيدتنا..غفل عنه الكثير .."حب الله"..

لا أفهم لمَ حُصر حُبّه بالعبادات والطاعات والأوامر والنواهي..تلك أمور لا شك فيها..لكنا لم نجرب أن نعيش مع الله..ولله..

أخواتي نحن ديننا أبسط من ذلك بكثير..نحن نبتسم ولنا حسنه..نمرض ونحتسب فلنا أجر..نصبر ولنا بعد العسر يُسر..أي دين سيكون أجمل من هذا..فقط أخلصْن النية واجعلنها لله وحده..لأنك تحبينه فعلتِ كذا..وقمت بكذا..

أتعلمين أنك اذا نمت مبكرًا بنية الاستيقاظ باكرًا للجامعة سعيًا لطلب العلم وإعمار الأرض..فنومك عبادة.

أتعلمين أنك اذا تناولت طعام الغداء بنية ان تمدي جسد بالطاقة كي تتمكني من القيام بواجباتك وأداء مهامك من عبادة او مساعدة في تنظيف المنزل..فتناولك للطعام عبادة.

يمكن لكل عمل أن يكون عبادة فقط إذا أخلصنا النية..

اذًا..الله يحبنا لدرجة أن يُمكّننا من كسب الأجر فقط بنية نعزمها قبل الشروع في أي عمل.. ألا يليق بنا أن نبادله الشعور على الأقل..أنه نحبه كما يحبنا..لقد خصنا بكثير من الامتيازات نحن بنو البشر..فهل يليق بنا أن نحب شخصًا ما أكثر منه بعد كل ما قدمه ويقدمه لنا يوميًا بشكل دائم..حاشى.

التقليد الأعمى لتلك الممثلة المشهورة..في طريقة لبسها وكلامها ومتابعة جديدها أولًا بأول والدفاع عنها حال تعرضها للشتم من أُخرى غير معجبه بها...أكلُّ هذا الحب نقدمه لبشرية مثلنا! وهي لا تدري عن مانقدمه لها شيئًا..بل حتى هي لا تبادلك الشعور.. وفي يوم مشهود ستتبرأ منك ومن حبك واتباعك لها..بعدما أفنيت عمرك سعيًا بشتى الطرق لاتباعها بكل حب..

ألا يُفترض لعقل سليم أن يُفكر قليلًا! أن نحب شخصًا لدرجة كبيرة تُنسينا محبوبنا الأول والأزلي..ربنا رب العزة..تُرى هل هذا من الانصاف؟..لا أبدًا.

علينا مراجعة حساباتنا باستمرار..تقييم قائمة أحبّائنا بدقة..كي لا يتجاوز أحدهم على مكان الآخر..وكي لا نجعل لله أندادًا..يُضلوننا بغير عِلم..نساوي بهم حبنا له وقد يزيد!..وتعالى الله عن ذلك.

يمكنك ذلك بتقييم حبك له عبر مظاهر الحب المذكروة آنفًا..ثم قرري .. هل أنتِ ممن يحبون الله قولًا وفعًلا وعملًا.. وتستشعرين ذلك لحظة بلحظة.. أم أنك دون ذلك!؟

في النهاية ننوه الى دعاء وصانا به حبيبنا النبي صلى الله عليه وسلم:

"اللهم إنّا نعوذ بك أن نشرك بك شيئًا نعلمه..ونستغفرك لما لا نعلمه".

والشركاء..هم كالأنداد المَذكورين في الاية.

يمكنك البحث أكثر عن تفاصيل ما قيل تحت مُسمى "شرك المحبة"..لمن تريد ..

ويمكنكن الاستفسار عبر ارسال رسالة الى الرقم الموجود في الأسفل.. وندعو الله أن يجعل تلك الدقائق التي استهلكتُنّها لقراءة المنشور في ميزان حسناتكن..والسلام عليكم ورحمة الله"

-من كتب هذا؟

-أنا وأسماء ورحمة.. أعني ..أنا وزميلاتي.

-هذا مُدهش..سأتولى أمر تحويله لخط الحاسوب وطباعته..اتعلمين..سأنسّقه بطريق تستحق ما حوى من دُرر..ابتسم وأكمل:

-وكيف أجعلك تأخذين الأجر انت ورفيقاتك وحدكن؟

-هههه..حسنًا، ..ولكن رقم من سنُدرج؟

-رقمي انا..وأنا سأُرسل لك االرسائل..كي لا تتعرضي للمضايقات هنا أو هناك..فالمنشور سيصل للشباب لا محالة.

-أوه يا "آدم" انت أخ عظيم.

قال بسعادة:

-وانت أخت أعظم.. "منى" ما رأيك أن نحتسب مصارف المنشور صدقة عن والدتنا؟

اغرورقت عيناها بالدموع واحتضنت "آدم":

-لا حرمني الله منك يا "ندم".

-ولا منك يا "منى".

اليوم هو الجمعة، أي لا أشغال اليوم.. استيقظ باكرًا وأعدّ افطارًا له ولرفيق عُزلته..أنهى سريعًا..ثم حمل مبلغًا صغيرًا من النقود وقبل ان يخرج قال لجده:

-نصف ساعة وأكون عندك.

-الى أين يا "أمين"؟

-سأزور صديق. خرج قاصدًا مركز الأيتام الذي يزوره باستمرار..حقيقة هو لم يذهب ليضع مبلغًا إضافيًا;..لكنه اراد أن يرى "إسلام"..ذلك الطفل الذي أحبه واتفق معه على زيارته باستمرار..وحمْل المبلغ فقط كي لا يدخل خاوي اليدين.

-السلام عليكم.

أجابت الموظفة بالتحية ثم:

-تفضل؟

قدّم لها ظرفًا وقال بشيء من الحرج:

-مبلغ بسيط..ولكني أود مقابلة الطفل "إسلام".

قالت بابتسامة:

-وان كان بسيطًا..فهو عند الله خيرًا وأعظم أجرا..جزاك الله خيرًا.."إسلام" موجود..يمكنك لقاءه.

انطلق حيث يقبع "إسلام" في غرفته مع أشقائه..كان فتىً قد قطع اثني عشر عامًا من عمره المقدر له عند الله تعالى..

جذبه كونه مُختلف..لم يكن يشبه غيره من قرناءه.. اهتماماته جديرة بالاهتمام فعلًا .. وقد كان يحب القراءة كثيرًا..لذا فقد اشترى له قبل أن يأتي كتابان..على أمل أن يُعجبانه.

-السلام عليكم!

رفع الفتى رأسه عن الدفتر وألقى قلمه تاركًا ما كان يُشغله:

-"أمين"! ..عانقه بشوق..لا يدري لم يدفعه هذا الفتى لتذكر طفولته..

-"إسلام " عزيزي اشتقت لك.

قال بعتاب وهو لا يزال يحتضنه:

-الذنب ذنبك..أين كنت طيلة تلك الفترة؟

-كنت مشغولًا بشدة..بالكاد كنت أتفرغ لنفسي..

-حسنًا سأعفو عنك..على أن تُخبرني ما بهذا ا لكيس البلاستيكي؟

-تعال الى هنا أولًا.. جذبه وجلس معه حيث كان جالسًا قبل أن يترك موضعه:

-ماذا تكتب؟

-قررت ان أُأَلف كتابًا...أعني قصة.

-حقًا؟!

-أجل..هل هناك مشكلة؟

-لا أبدًا..ما اسمه؟

-لم أقرر بعد..هيا أخبرني بماذا جئتني؟

أخرج "أمين" الكتاب الأول..ونظر له قبل أن يقدمه:

-هذه احدى روائع "الفيفي".."الى الظل".. في قصة سيدنا موسى عليه السلام..قام بسقي أغنام الفتاتين ثم ماذا فعل؟

هتف: تولى الى الظل!

-أحسنت..لن أخبرك عن أي تفاصيل أُخرى..أترك لك متعة الخوض في صفحاته..

-حسنًا والثاني؟

-الثاني يا عزيزي..للكاتب "عبد الله الرغوثي".."أمير الظل"..في سرد لسيرته الذاتية..

-ظلٌ آخر؟!

ضحك: ماذا ألم تعجبك؟..لقد اخترتهما بعناية.

-"إسلام": لا.. كل شيء منك يعجبني..

تأمله قليلًا ثم قال: وأنا أيضًا..تذكرني بنفسي.

-وأنا أرى مستقلبي فيك..أتخيلك أنا بعد أن أكبر..

ابتسم "أمين" ثم نهض مودعًا:

- بل عليك أن تكون أفضل مني ..الآن عليّ الانصراف.

-لا تحرمني منك كثيرًا كالسابق.

-سأحاول بإذن الله..الى اللقاء.

ودعه وخرج من المبنى،..تأمل السماء..كم يعشق منظر الغيوم التي تسبح في وسطها الأزرق..ولكم يحب التأمل فيه..وكأنما الراحة خُلقت في هذا المنظر.

تحرك عائدًا مستقلًا احدى المواصلات العامة..أخذ يفكر بـ"إسلام"..لقد تغير هذا الفتى كثيرًا عن أول لقاء لهما.. البعض يتغير عندما يتعرف على أحدهم..وهناك أيضًا من يتغير ..لكن عندما يتعرف على نفسه كما حصل معه..

فُراق عائلته المفاجئ جعله يحترف الصمت..أصبح أحد أكثر متقني هذا الفن..لم يعد يروق له الحديث ولا الختلاط مع البشر..رُهاب الفقدان لا يزال يسيطر عليه..يخاف أن تأتيه الفجأة في لحظة نشوة وسعادة..فيفقد القدرة على التحمل..

اعتزل الناس واختلى بنفسه..كان ما يربطه بالحياة هو بصره..يرى ما يحدث يقيم في نفسه..وما من داع لتحريك عضلة اللسان.

قاده التامل للبحث..البحث عن شيء باق يمكنه التعلق به دون ان يهكل هم البعد والفقدان..فوجد الخالق.

هذا لا يعني انه لم يكن مسلمًا فيما سبق..لكنه كان كغيره..يؤمن بوجود الله بالتأكيد..لكن لم يكن يستشعر ذلك..شرح له التأمل المستمر كثيرًا من الأمور التي غفل عنها مسبقًا..أخبره أن الله معه دائمًا وهذه حقيقة لا يجب ان تغفل عنها

ثانية قط..كان يعلم ان الله يرى كل صغيرة وكبيرة..لكنه لم يجرب يومًا أن يخبره بها..أن يشكو له حدثًا أزعجه..أن يدعوه ليغفر له زلّته..أخبره انه مشتاق لعائلته كثيرًا..وانه بحاجة الى من يملأ عليه حياته..هانت محنته.. وخفت وطأة الحِمل..ازداد بذلك قربه من ربه..أحبه كثيرًا..لولاه لما اجتاز ذلك على خير..يكفيه أنه كان حينما لم يكن معه أحد.

كان قد وصل المنزل..فألقى التحية على جده واستأذنه للذهاب الى غرفته..جلس على سريره وتناول قلمًا وورقة وكتب:

-"ربي" أنت تكون حينما لا يكون أحد أنت تكفيني فأنت خير سند

ارزقني حبك وحب من أحبك وخير المال والأهل والولد

"ربي" امنحني الصبر على المحن واكفني شر البلايا والفتن

وارزقني من خيري الدنيا والآخرة يا ذا الجلال والمنن

"ربي" أتم علي نعمك ظاهرة وباطنة واجنبني شر هذه الدنيا الفانية

أسعدني وأكرمني في أيام عمري الباقية

"ربي" أنعم عليّ بحفظ كتابك وجعل حياتي كلها لذلك

ارزقني حسن الأخلاق وأنعم غلي من حسناتك[1]

ابتسم وهو يعيد قراءة ما كتب..تمتم بالحمد..ثم نهض ليجلس مع جده.

❖❖❖❖

طلب "أيوب" رقم صديقه.. ثوان قليلة قبل أن يأتي صوته:

-السلام عليكم "ايوب"..

-وعليكم السلام..هل أنت مستعد؟

تنبه "معتصم" لما يقوله فأجاب:

-أستحلفك بالله أن لا تلعب بأعصابي..هات الرد سريعًا..

ضحك ملئ شدقيه ثم قال:

-ياه..كل هذا؟

"أيوب"..انت بقلب حجري..أيرضيك توتري هذا!

-حسنًا حسنًا..فقط لأنك استحلفتني بالله..إلا انني كنت أود إزعاجك..لقد

[1] من تأليف الكاتبة

وافقت..وأبي يخبرك ان الخطبة ستكون بعد أربعة أيام..على أن يتم الزواج بعدما يعود من سفره.

-هل هذا ما حدث؟..اصدقني القول.

-أجل..لقد وعدتك ألا أكذب.

هتف بسعادة:

-"أيوب"!..أنا لا أصدق..حقًا؟

-بل صدق يا "معتصم"..اعتني بنفسك كي لا تفقد عقلك من فرط السعادة.

-هه لا تقلق..مع السلامة لست متفرغًا لك الآن.

-يا ناكر الجميل..

-الى اللقاء.

أنهى "معتصم" الاتصال قبل أن يسمع ردًا من "أيوب".

-لا حول ولا قوة إلا بالله..ماذا فعلت بك "سمية"؟!

انقضت الأيام سريعًا..وحان اليوم الذي انتظره "معتصم" كثيرًا.

-"محسن"..هل مظهري كامل؟..هل أنقص شيئًا؟

ضحك "محسن" شقيقه الأصغر منه بأعوام معدودة:

-أجل أيها الأبله..لقد سألتني السؤال سبعين مرة.

-حقًا؟ - أجل

هتفت أمهما:

-هيا يا أولاد ..سنتأخر.

-"محسن": السيد "معتصم" غير مقتنع..

فتحت والدته الباب وأطلت منه:

-ما هو الغير مقتنع به..أنت كالبدر ما شاء الله..هيا بسرعة "محمد" ينتظرنا في السيارة.

نزل الثلاثة لينضموا الى "محمد" الذي تولى القيادة .. قاطعًا بهم المسافة التي تفصلهم عن منزل العروس.

-أمي..هل كل شيء جاهز؟

ابتسمت امها بأعين دامعه:

-أجل يا حبيبتي..سيأتي المأذون بعد قليل..ثم نكون جاهزين.

-أنا خائفة..

-اهدأي واذكري الله..ألا بذكر اللهِ..صمتت لتكمل "سمية":

- تطمئن القلوب..

فتح "أيوب" باب الغرفة حيث تقبع "سمية" ووالدته:

-جميع الضيوف قد حضرو..كما أن العريس قد وصل..كنّ على استعداد.

تصافح الجميع كأسرة واحدة..لم يمض سوى القليل حتى حضر المأذون..

وتم عقد القران مُعلنًا زواج "معتصم" من "سمية".

كانت في فستانها الأزرق السماوي تضم في يدها باقة ورد حمراء حينما دخل "معتصم".

تعالت الزغاريد والأناشيد في جو مليء بالفرح..اقترب منها وألبسها دبلة الخطوبة وكذلك فعلت.

نظر لها متأملًا وقال:

-مبارك يا عزيزتي..

احمر وجهها وتمتمت بكلام غير مفهوم..

-ماذا ..ألن تنظري إلي؟

حركت رأسها باضطراب..فضحك وقال:

-لا بأس..

احتلا صدر غرفة المعيشة بينما انشغل الأقارب من محارِمها بعبارات التهنئة.

التفت اليها مازحًا:

-ليتني كنت أرضًا.

قالت باستغراب: لم؟

-كي تنظري إلي بهذا الشكل..

التفتت اليه وقالت:

-حسنًا هاقد نظرت..لكن لا تتمنى أشياء غريبة كتلك.

نظر اليها بساعدة وقد نجحت خطته:

-حسنًا ..الأ تريدين ان تقولي شيئًا؟

أرادت ان تخفض بصرها لكنه قال:

-لا بأس فلنتخيل ان الأرض باتجاهي..

ضحكت بخفوت:

-أنت لست الأرض..حسنًا..سأنظر.

قال بسعادة: أحبك..

ترقرق الدمع في عينيها وقالت بخجل جمّ:

-"معتصم"..أرجوك ان تخفف من عيار كلماتك..سأذوب بعد قليل..

ضحك وقال:

تذوبين وتصبحين بالارض..وهكذا نجتمع..الارض والسائل المذاب..

لم تستطع أن تكتم ضحكاتها..انتبه الحضور لهما فدعا الجميع لهما بتمام السعادة.

كم تمنى "معتصم" الارتباط بها..رآها عدة مرات مع "أيوب" عندما كانوا يلتقون ليذهبوا سويًا للانضمام لإحدى الحشود التي تظاهرت دفاعًا عن قريتهم التي تعد جارة المسجد الأقصى وخطه الدفاعي الأول.

أُعجب بها وبحيائها الدائم..

كان يعلم ان الزواج ليس مجرد الاجتماع بمن يحب..بل الخطوة الأولى لتأسيس جيل جديد..لا بد له أن يسير على النهج القويم..وأن يُربى على حب الأرض وبغض العدو الغاصب...واتباع نهج صلاح الدين الأيوبي وعِظام الأمة..لتحرير البلاد من دنس المحتلين.

فكان لابد له ان يُحسن اختيار الزوجة التي ستكون أمًا لأبناءه والتي سيقع على عاتقها تربية أبناءه تربية صالحة سليمة..فهي العنصر الأساسي المؤثر في ذلك..متبعًا قوله تعالى: أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَه عَلى تَقْوىً مِن الله وَ رِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَه عَلَى شَفَا جُرُفٍ هارٍ فانْهَارَ بهِ نَارِ جَهَنَّمَ وَالله لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ.[1] مُسقطًا حال الأساس ..على أسرته..زوجته ومربية أبناؤه .

[1] سورة التوبة الآية [109]

" طرقتُ الباب حتى كلّ متني فلما كلّ متني كلمتني..فقالت لي أيا إسماعلي صبراً قلت أيا أسما عيل صبري"

لم يبرح ذهنه عن التفكير في تلك الأبيات الشعرية منذ أن قرأها على ورقة "اسماء رشدي".

تلاعب الشيطان برأسه ينسج له قصصًا كثيرة..تُرى هل كانت تتعمد الارتطام بي؟ لكن من أين لها ان تعرفني!..ولمَ انا واثق لهذه الدرجة من انها تقصدني..الا يوجد اسماعيل غيري في الجامعة؟ يا للسخافة..كفّ عن الغباء يا "إسماعيل"..

لكنه كلما أراد التركيز في دراسته تشن عليه الأفكار الغريبة حربًا ..تمحق به التركيز واهله!

احتضن وجهه وبكفيه وحدث نفسه:

-أنت شاب عاقل يا "إسماعيل"..فدعك من الغباء..الشاب العاقل يعي معنى ما تفكر فيه..انت بذلك تُغضب ربك ..ألا تدري؟..وكيف أفكر بها بينما هي بالتأكيد لن تلتفت الي البته..ففتاة مثلها لن تقبل بأهوج مثلي.

حانت منه التفاته الى مظهره المنعكس على المرآة قبالته..تأمل نفسه..هل أنا راضٍ عن مظهري؟..أعترف أنني لم أتغير سوى لأنني أُعجبت بشخصية لاعب كرة قدم بشدة..وفي لحظة ضعف قررت تقليده..لا أعتقد انني بكامل رضاي عن نفسي..أنا مقصر ..نعم.

كيف أُقنع نفسي أنني على صواب بينما كل ذرة فيّ تصرخ: ماذا فعلت بنفسك؟!..خلّفت الأفكار في رأسه صداعًا مؤلمًا..قام وتوضأ وصلى ركعتين..دعا الله فيهما أن يهديه ويصلح حاله..لا يُنكر أنه لم يعد يغض بصره..لا ينكر ان مظهره أحل له بعض الممنوعات..استعفر ربه كثيرًا..

كم أشعر بصغري وضعفي أمامك يا الله..كم كنت أحمقًا حين استمعت لِمُخرج أبوي من الجنة..زين لي عملي فأعماني.. وبم سينفعني لاعب الكرة بشيء..أساسًا هل يعلم أن هناك أحمقًا عصى ربه بسببه..لا أبدًا..إسماعيل..عد لرشدك..تذكر الأيام التي قضيتها مع "آدم" في المراكز الاسلامية..وحفظ شيء من الكتاب والسنة..كيف فرطت بكل ذلك..لقد أحرقت كل شيء!..

أنا نادم يا ربي..اعدك انني لن أعود لما ولّى ..لن أكون إمعةً مقلدًا .. تزلُّ قدمه فيسقط في الوحل..لمجرد انه لم ينتبه للحجر الصغير الذي أعاقه...نعم..لن أعود..ساعدني يا الله على ذلك.

أنهى صلاته..ثم وضّب أغراضه مستعدًا للخروج الى الجامعة بعد أن كان يُراجع درسه. ارتدى قبعة يخفي بها شعره..الذي ما عاد يهتم به كالسابق.

وفي الجامعة، التقى بـ"آدم".

-السلام عليكم..

-وعليكم السلام..كيف الحال "إسماعيل"؟

-بخير الحمد لله..ماهذه التي في يدك؟

-ما رأيك بالتصميم؟ انه من صنيعي..تناوله "إسماعيل":

-جميل جدًا..قرأ عنوانه:

-"يحبونهم كحب الله"..هذه جزء من آية أليس كذلك؟

-أجل أحسنت.

-أنت صممته...لكن من أعده؟

-شقيقتي وزميلاتها..لكني احتفظت بنسخة لي..خذها ان أردت.

-لا هذه لك.

-خذها.. يمكنني أن أحصل على غيرهامن أختي..فهم قد اعتمدن توزيعها على الفتيات فقط. لن تجد غيرها.

-أشكرك.

جاء حينها "أمين"..وقد بدا انه كان يركض طيلة الطريق، فقال وهو يلهث:

-مرحبًا يا جماعة..اسف على التأخير.

-"آدم": وعليكم السلام..

-اه..فعلًا ..نسيت إلقاء التحية..أعتذر يبدو أنني نسيتها في المنزل..لقد كنت على عجلة.

ضحك الثلاثة.

قال "اسماعيل" وهو يشير الى المنشور:

وهذا بالتأكيد رقمك انت..أليس كذلك؟

-"آدم": أجل بالتأكيد..ليس من المعقول أن أضع رقم "منى"..

-"أمين": رقم؟ .. "منى"؟ ..وما هذا الذي يحمله "إسماعيل"؟

-"آدم": الرقم رقمي ..والفتاة شقيقتي..أما هذا المنشور ..أخبرك عنه لاحقًا..لقد تأخرنا عن المحاضرة هيا بنا.

تحرك الثلاثة الى المحاضرة التي تجمع التخصصين، على أن يخبره "آدم" بالتفاصيل لاحقًا.

❖❖❖❖

صفقت "رحمة" بسعادة:

-انظرن! الجميع مشغول بقراءة منشورنا!

-"أسماء": الحمد لله..آمل أن نُفيد به..كما أفادنا.

-"منى": الآن علينا أن ننتظر استفسارات الجمهور..سيبعث "آدم" لي الرسائل.. وانا سأشارككما بها ..ثم نبعث الجواب لِـ"آدم" الذي سيبعثه للسائل.

-"أسماء": ياه..ألن نزعج أخيك بذلك؟

-أبدًا..على العكس..فهو متحمس جدًا للفكرة.

تقدمت فتاة من معارف الاصدقاء نحوهن وقالت:

-ألم تستلمن مثل هذه؟

-بلى..

-ابتسمت وأكملت:

لقد أُعجبت بها كثيرًا..حقيقة لقد تنبهت لكثير من الأشياءالتي كنت قد غفلت عنها..

-"رحمة": جزا الله فاعلها خير الجزاء..وأنا كذلك.

تبادلت مع "منى" و"اسماء" نظرات ذات معنى.

قالت الفتاة:

-لم يخطر ببالي يومًا أن تقليد احداهن سيضعني في موضع شك..فالتقليد ناتج عن الحب والاهتمام..إضافة انه قد يكون تقليدي لها مخالفة لأوامر ربي..

قالت "رحمة" وقد اندمجت في الحديث معها:

فعلًا..ولذا علينا أخذ حذرنا حين إضافة أشخاص الى قائمة المحببين لنا..تفاديًا لأي مشكلة.

أكملت الفتاة:

-بالضبط..لأن أحبائنا هم قدواتنا ..ولذا فمحتم على كل مسلم أن يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم وأهله وأصحابه قدوة له..كي لا يتيه في تقليد من لا يستحق!.. ياه ..كم هو موضوع جميل..أتعلمن من أعد المنشور؟

رفعت "أسماء" كتفيها وقالت هازةً رأسها بالنفي:

-فاعل خير.

-فعلًا ..عن اذنكن.

ابتعدت الفتاة ..فقالت "رحمة":

-الحمد لله..النتائج مُرضية!

-"أسماء": واضحٌ جدًا..فلقد انخرطت بالحديث مباشرة..

ابتسمت بلا اهتمام متجاهلة كلام "أسماء"..ضحكت "منى" قبل أن تقول:

-الآن "أسماء" تقول: ما هو إلا فصل جامعي واحد ..وأرتاح من "رحمة".

-"أسماء": .هههه بالطبع! ..على امل أن نترك أثرًا طيبًا..

"رحمة" بتكبر مصطنع:

-ترتحن!؟ الناس تتمنى صداقتي..لو ترين الفتيات كيف كنّ حولي قبل أن أتعرف على نحسات اثنتين..لعلمتن قدر شأني..ولولا أنني ساهمت في المنشور لانسحبت حالًا..

ضحكت "منى" و"أسماء"..

-لا بأس..لا بأس..أرجوك لا تتركينا "رحمة"..نحن لا نستطيع التنفس دونك..

قالت بسخرية:

-حسنًا أعلم..هيا الآن..محاضرة "النثر العربي"تنتظر.

تحركت الفتيات نحو قاعة المحاضرات. تنبهن أن دكتورة المحاضرة تحمل في يدها نسخة من منشورهن.

وبعد ان اجتمع الطلبة جميعًا..وقبل أن تبدأ الدكتورة بإعطاء الدرس، رفعت المنشور وقالت:

-من صاحب هذه؟

قالت إحدى الفتيات:

-لم تُرفق باسم.

-اعلم..ولكني أريد معرفة الشخص..مرت لحظات صمت تبادلت "رحمة" و"منى"و"أسماء" فيها نظرات شك..لكنهن قررن عدم إخبار أحد.

-حسنًا..اذا لم يود أن يخبرني على الملأ هنا..يمكنه الحضور الى مكتبي بعد المحاضرة..هذا ضروري.

قالت طالبة أخرى:

-لم؟ هل هناك مشكلة ما؟

قالت بحزم:

-سأخبره حينما يأتي..والآن فلنعد الى موضوعنا..

شرعت الدكتورة في إعطاء مادتها بينما تركت الفتيات الثلاث في حيرة من أمرهن..تُرى هل كان المنشور يحمل شيئًا سيئًا...ماذا تريد؟!

❖❖❖❖

بحث عن اسمها في قائمة الاتصال حتى وجده..طلبه على عجلة. جاء صوتها من الطرف الآخر:

-السلام عليكم "معتصم"..كيف الحال؟

قال والفرحة لاتسعه:

-"سمية"..لقد قُبل..حصلت على الموافقة!

-لم أفهم؟

-تصريح لزيارة والدي..

-حقًا؟! مبارك يا عزيزي..أنتَ وحدك؟

-أنا ووالدتي وأخي "محمد".."محسن" لم يحصل عليه..

-مؤسف..

قال بأسى:

-أجل..ان شاء الله يحظى بها المرة القادمة..

-آمل ذلك، كنت أود أصحبك معي..لكنك تعلمين..الزيارة فقط لأقارب الدرجة الأولى..

تمتمت:

-أجل..وأنا لستُ منهم..

-لا عليك سأخبره أنا بشأنك ..أكمل مازحًا:

- ألا تودين أن تعرفي ما سأقوله؟

ابتسمت:

-"معتصم"..أبلغه سلامي.

ضحك: سيصل ان شاء الله..الزيارة الخميس المقبل..دعواكِ.

-أدعو الله ان يُيَسرها لكم جميعًا.

-آمين يا عزيزتي..أستودعك الله.

-في آمان الله.

أنهى الاتصال ولاحظ رسالة قادمة من "أيوب":

-السلام عليكم "معتصم"..اعذرني لن أستطيع لقائك مساءً اليوم..مشغول مع والدي في إجراءات السفر..سيسافر الليلة.

رد برسالة كتب فيها:

-لا مشكلة،..سآتي فقط لأسلم على عمي قبل سفره..

.....

-أبي متى ستعود؟

-شهر على الأكثر..كالعادة..ما بك..لم تسأل؟

ضحك وقال:

-لا أدري، السؤال ذاته يخطر لي كلما سافرت..ألا تلاحظ أنني أسألك إياه دومًا..وأن هذا الحوار يتكرر في كل مرة تسافر فيها؟..

نظر له والده قليلًا ثم قهقه ضاحكًا:

-فعلًا!..

-"سمية": أبي..لم لا يأتي عمي "وليد" ليقيم عندنا في فلسطين.. بدلًا من السفر الدوري هذا؟

أطلق زفيرًا قبل أن يقول:

-عمك تزوج وسافر الى الأردن..ما يعني انه أسس حياته هناك..وأمر مجيئه الى هنا يتوجب عليه ان يترك كل ما كان يعمل عليه منذ أن سافر..وهذا أمر مستحيل..

فهو هناك قد تمكن من تأسيس شركته أو –شركتنا-الخاصة..وبحكم خبرتنا السابقة التي اكتسبناها أثناء العمل في شبابنا في تصنيع الملابس..فقد كانت شركة معنية بذلك. وبذا تشاركنا نقودنا وأسسناها..عمك المسؤول عن التصنيع والتوزيع..بينما أنا دوري البسيط والذي يحتمل كوني في بلاد أخرى، يكمن في الحضور لشراء القماش المُستخدم ..فخبرتي في هذه الخطوة تفوق معرفته بها..ولذا فإني أسافر كل فترة وأخرى..لمعاينة –شركتنا- ولشراء القماش.. والأهم من ذلك كله طبعًا..زيارة أخي وعائلته..

كانت الأم قد حضرت من المطبخ وجلست:

-ألا تسئما من طرح الأسئلة ذاتها على والدكم! لا أفهم كيف تحتملهما يا "حمزَة"!

ابتسم وهو ينظر اليهما:

-وهل أملك سواهما في هذه الدنيا..

تنحنحت زوجته..فانتبه وقال:

-بالتأكيد ..اه ..أملك غيرهما!

ضحك الجميع.ثم استأذن والدهما قائلًا:

-عن اذنكم ..سأذهب لآخذ قسطًا من الراحة قبل موعد سفري الليلة..

قبل أن ينهض التفت الى "سمية" وقال:

-بالمناسبة يا "سمية"..لقد اتصل "معتصم"..وأخبرني أن حفل زفافكما سيكون الشهر المقبل..أو حالما أعود من السفر.

"أيوب" ساخرًا:

-يا لهذا الـ"معتصم"..لم العجلة ان شاء الله؟

-الشاب يمتلك كل ما يحتاجه..فلم يتأخر.؟ .... ما رأيك "سمية"؟

-كما تراه مناسبًا يا أبي.

-حسنًا سأخبره بالموافقة..عن اذنكم.

نهض مغادرًا وتبعته زوجته.

جلس "أيوب" مع "سمية":

-هكذا ستتركينني وتذهبين..

رفعت يديها الى السماء:

الحمد لك يا رب!..أخيرًا سأرتاح من "أيوب"..نظرت اليه واكملت:

-أجل..

ضحك ثم نهض ليجلس بجوارها:

-لا أظنك ستتخلصين مني ..فـ"معتصم" لا يختلف عني كثيرًا..

هزت رأسها نفيًا:

-لا..بالتأكيد هو أفضل منك..

-ياه يا "سمية"..وأنا يا ناكرة المعروف..أخوك..

ضحكت وقالت:

-أنت تعلم ان لك في قلبي مكانًا عزيزًا..بالتأكيد سأشتاق لك.

-جيد اذًا.. اذا كنت متفرغة..أحضري لي مصحفي ..لم أقرأ وردي لليوم بعد.

-لا بأس..سأقرأ معك.

أحضرت "سمية" مصحف "أيوب" ومصحفها:

-أين وصلت؟

-سورة "مريم"..

فتحت حتى وصلت لها..تهيأت وقالت:

-هيا ..انت صفحة وأنا صفحة.

-قبل أن نبدأ..أتعلمين..هذه السورة من أحب السور الى قلبي..لقد قال الله فيها "هوَ عَليَّ هَيّن" مرتين!..بها لطائف جميلة جدًا..لقد سجلت بعضها على ورقة ملاحظات على الصفحة..استمعي لهذه:

"وهن العظم، اشتعل الرأس شيبًا، امرأتي عاقر..كلها أبواب موصدة..ومع ذلك ما انقطع الأمل:"وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِي شَقِيّا" "

-يا لهذا الإيمان الصادق!

أومأ برأسه وأكمل:

"اصبر..كرم الله لا يتأخر..وإنما يأتي في الوقت المناسب "وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا" "

-"أيوب"..أنا مستمتعة بذلك ..لكن ما رأيك أن نُكمل بعد أن نقرأ..

-حسنًا..وهذا رأيي، لأنني قد لا أنتهي..

-هه حسنًا..هيا ابدأ على بركة الله.

استعاذ بالله وبسمل بصوته العذب..وانطلق بتلاوة عطرة يعشقها كل من يعرف صوته.

❖❖❖❖

أنهت الدكتورة من إعطاء المحاضرة وقبل ان تخرج قالت مُذكرة:

-على صاحب المنشور مراجعتي في المكتب ..انا بانتظاره. ثم حملت أدواتها وخرجت.

تعجب الجميع من إصرار الدكتورة الغريب:

-"أسماء": أنا من رأيي ألا نذهب..لست مستعدة للتوبيخ.

-"رحمة": توبيخ؟ ولم!؟ نحن لم نقترف شيئًا!

-"منى": من الأفضل ان نذهب لنرى مالذي تريده منا.

-"أسماء": قد تطلب منا سحبه..وربما تنقصنا بعض الدرجات..

-"رحمة" بعصبية:

-"أسماء"!..كفي عن الغباء..ألستِ واثقة مما فعلنا..المنشور في غاية البساطة والوضوح..لن نُعاقب عليه..سنذهب .

-هيا. انقادت "أسماء معهما..واتجهن في طريقهن الى مكتب الدكتورة "حنان توفيق" وفي عقل كل منهن تصور مختلف عما يمكن ان يحدث بعد قليل ..

وقفن امام الباب.. طرقته "منى" ثم فتحته وقالت:

-أتسمحين؟

رفعت الدكتورة "حنان" نظارتها متفاجأة وقالت:

-تفضلن. دلفت "منى" ومن خلفها "أسماء" و"رحمة"..قالت الدكتورة:

-خيرًا؟

-كنتِ قد طلبتِ صاحب المنشور"يجبونهم كحب الله"..وها قد جئنا.

قالت بتعجب:

-أنتن الثلاثة!..لم أتخيل ذلك أبدًا..عمومًا.. استرخت في كرسيها الوافر وعادت بظهرها الى الخلف وأكملت:

-أُعجبت بمنشوركن...وأردت أولًا أن أشكركن عليه..فلقد حوى قضية مهمة..وعندما لم تُرفقن أسمائكن علمت أنكن لا تودن ان يعرف أحد عنكن شيئًا..فطلبت لقائكن هنا في مكتبي..ولذا لم أشأ ان أتكلم عنكن أمام الجميع..الأهم..كما سبق أن قلت..أُعجبت بالمنشور..وقلتُ ان أقترح على صاحبه أن يُشكل دورية ..أو بما هو أشبه بمجلة تعرض محتواها كل مدة معينة..

منشورات ..دورات..ومحاضرات، لتوسيع آفاق لم يَعَهَا الكثير والتي تتعلق بقضايا الاسلام التي يمكن أن تغفل عنهم..مثلًا كـ"حب الله" الذي طرحتموه في المنشور..

-"منى": لكن حتى لو انشانا مجلة ما..فنحن لم يبقَ لنا سوى فصل جامعي واحد..ولن نستطيع أن نُكمل..

-لا مشكلة..سنتيح في المنشور فرصة لمن يملك مَلَكة الكتابة المشاركة، كي يحل مكانكن بعد تخرجكن..حيث سيحوي المشروع موضوعكن بشكل رئيسي ومشاركات الطلاب الآخرين..وبذا لن تتوقف على أحد..

-"أسماء": فكرة جميلة جدًا..وددتُ يومًا أن أكون مؤثرة..أو أن أترك أثرًا طيبًا..

-"د.حنان": وأنتما؟

-"رحمة": أفهم انك ستكونين مشرفة المشروع؟

-أجل ..هل من مانع؟

-أ..أ..لا أبدًا.

-"منى": وأنا أيضًا..ليس لدي أي مشكلة..متى سنبدأ؟

-بعد أسبوعين..كي تتمكن من ترتيب أفكاركن..أقترح أن تقمن بنشاطكن كل أسبوع..ما رأيكن؟

-جيد..

-اذن اتفقنا..اه..ضحكت وأكلمت:

-لم أتعرف على أسمائكن بعد..؟

-"أسماء"..

-"رحمة"..

-"منى"..

-أهه..جميل.. وماذا يمكن أن تحمل المجلة عنوانًا؟

حلّت فترة صمت قصيرة ..الى ان قالت "أسماء":

-ما رأيكم بـ"كَلَّمَتني"؟

-ماذا؟

-بمعنى أن منشورنا..حدثه..وشرح له أمرًا جديدًا جَدِلًا..جعله يدخل في حوار مع نفسه..ليناقشه وليتخذ قرارًا بعد ذلك..أقصد ان أنفسهم ستكلمهم.. وبضمير المتكلم فهي "كلمتني".

أطرقت الدكتورة "حنان" برأسها مفكرة ..ثم قالت:

-لا بأس به..جيد..حسنًا..انتظر أن تتواصلن معي لعرض الموضوع الجديد قريبًا..بالمناسبة..مصمم المنشور ممتاز أيضًا..ويمكنه ان يُصمم في المرات القادمة..من هي؟

-"منى": في الحقيقية...هو أخي.

-اه..حسنًا..يمكنه ذلك..وهل هو في الجامعة هنا؟

-أجل، إلا أنه بكلية الهندسة..

-ان لم يكن يستطيع الالتزام معنا فلا بأس..يمكننا معالجة الأمر..

-سأسأله..رغم انني متأكدة من موافقته.

-ممتاز..والآن عن اذنكن..لدي بعض الاوراق عليّ اتمامها.

-شكراً جزيلًا على اهتمامك بنا.

-لا شكر على واجب.

خرجن من عندها وسِرنَ عائدات ..

قالت "أسماء":

-من كان يُصدق!

-"رحمة": هه لم أرَ الدكتورة "حنان" بهذه البشاشة يومًا..كم كانت لطيفة.

-"منى" ساخرة: لكل من اسمه نصيب..كان لا بد ان يأتي اليوم الذي ستكون به "حنان"..ولو بعد حين .

-هههه فعلًا..وماذا عن الموضوع الجديد..عمّ سنتحدث؟

-لا شيء ببالي حاليًا..سأخبركن ان.. ثم قالت فجأة:

-اه ها هو "آدم"..نُكمل الحوار لاحقًا..الى اللقاء.

-الى اللقاء .. رافقتك السلامة.

❖❖❖❖

وصل "حمزَة" شقيق "وليد" الى الاردن وتحديدًا الى منزل أخيه وأبناءه الاثنين "منى" و"آدم".

كان لقاءً حارًا، جمع بين أفراد العائلة..

شعور جميل أن تعلم ان لك أقرباءً يتصلون بك ..أفرادًا يحملون شيئًا من الدم الذي يجري في عروقك ..ستشعر بالامتنان لأنهم موجودين.. بالدفئ لكونهم حولك..

فكيف إذا رأيتهم بعد غياب طويل..

-ياه يا "وليد"..مضى وقت كثير!

-صدقت يا أبا "أيوب"....كيف حال الاولاد وزوجة أخي؟

-الجميع بخير..وكلهم يوصلون لكم سلامهم..عن "ايوب"..فقد استقر في عملٍ جديد..وهو يعمل به حاليًا بفضل الله.. وأما "سمية"..فقد عقدت قرانها قبل عدة أيام..

-حقًا!..مباركٌ مبارك!

-"آدم": بارك الله لهما يا عمي..ومن هو؟

-صديق "ايوب"..يُدعى "معتصم" من معارفنا..

-"منى": يا الهي..لم لم تخبرني هذه الشقية..عن اذنكم سأذهب لأتصل بها مُهنئة.

غادرت "منى" فقال "حمزَة"-أبو أيوب-:

حسنًا..ومتى سنبدأ نحن؟

-من الغد ان شاء الله ..الى ان ترتاح من سفرك.

-على بركة الله.

اتجهت "منى" نحو غرفتها والفرحة تغمرها:

-أنا سأُريها هذه المخادعة..لا تخبرني..طلبتْ رقمها وانتظرت ثوان الاتصال حتى جائها صوت مباغت:

-السلام عليكم؟

أجفلت "منى"..هذا ليس صوتها..بل ليس صوتًا أنثويًا من الأساس ..نظرت الى الالسم متفحصة..انه "سمية"؟!

جائها الصوت مجددًا:

-عفوًا؟

نطقت أخيرًا:

-"سمية"؟..موجودة؟

-من انت؟

- ابنة عمها "وليد".."منى".

صمت الصوت قليلًا ثم تمتم:

-حسنًا..

ثوان أخرى حتى جاء صوت "سمية":

-"منى" حبيبتي..كيف حالك!

-حبيبتك!؟ ما هذا.. منذ متى تعطين هاتفك لغيرك ليرد على اتصال ابنة عمك..وكأنك لا تعلمين من المتصل!؟

-"منى".. اسمك لم يظهر على الشاشة..وفضلت أن يُجيب "أيوب" على الاتصال..

ضربت كفها برأسها:

-صحيح!..لقد غيرت رقمي..لكن.ومع ذلك..ألم يخطر ببالك ان هذا الرقم الدولي الخارج من البلاد ممن يمكن ان يكون؟ من سيتصل بك من الاردن غيري!

-أعتذر لم انتبه..

زفرت واكملت:

-لا بأس .. لكن هناك مشكلة أكبر.. أيتها الخائنة.. لم لم تخبريني بأمر خطبتك..سامحك الله..أهكذا انا آخر من يعلم!

قال بخجل:

-"منى"..وهل كنت تنتظرين ان اتصل بك وأخبرك:"اوه منى..لقد جاء اليوم شاب لخطبتي!"

ضحكت وقالت:

-أجل..كنت انتظر على الأقل رسالة!

-أعتذر ان أزعجتك..لكني حتى لم أخبر أحدًا من صديقاتي هنا في فلسطين..أنا..

قالت "منى" هازئة:

-تخجلين يا عزيزتي..

ضحكت وقالت:

-وانتِ..كيف حالك؟

-بحمد الله..عمي الآن في منزلنا..لقد وصل توًا.

-حقاً..الحمد لله على سلامته..

-عن اذنك ..سأجهز لهم الغداء..

-بالطبع..أتركك لما يُشغلك..لكن..ألن تاتي لحفل الزفاف؟

-ومتى سيكون؟

-بعدما يعود والدي من السفر.

-اممم سأحاول... قد آتي مع عمي ان سنحت الفرصة.

-أهلًا بكم في أي وقت.

أنهت "منى" الاتصال..ثم توجهت نحو المطبخ تعد الغداء..منذ ان رحلت والدتها وهي تحاول ان تغطي مكانها..كي لا يشعر شقيقها ووالدها بالنقص..تعد الغداء..تنظف المنزل وتهتم بشؤونه..إضافى الى دراستها واهتماماتها الأخرى..ربما كانت تتمنى أُمًا تتقاسم معها الاهتمام بالمنزل..والأهم ان تتقاسم معها حياتها المستجدة ولحظات السعادة..لكن قدر الله ما شاء فعل.

على الجهة الأخرى قال "أيوب" محدثًا شقيقته:

-يبدو انها كانت "منى" حقًا..اليس كذلك؟

أومأت برأسها وقالت ضاحكة:

-أجل..

-مالأمر؟ لم تضحكين؟

-على المقدمة التي قد قدمتها لها.. سأسجل رقمها كي لا أقع في الموقف ذاته مرتين..كانت تريد معاتبتي لأنني لم اخبرها بأمر خطبتي..يبدو انها علمت توًا من أبي..

قال "أيوب" وهو يحرك كفه بالهواء وقد ملّ من حديثها:

-حسنًا.. سأذهب مع بعض الاصدقاء..هناك تجمعات شبابية في الحي ..سأشاركهم...

-رافقتك السلامة! . قالتها وهي تشعر أن "أيوب" قد تجاهلها..يا له من سمج!

❖❖❖❖

كان "اسماعيل" مع "آدم" حينما لاحظ احداهن في طريقها اليهما ..كانت قد انفصلت عن مجموعتها وأقبلت نحوهم من بعيد..انتبه ان احدى من كانت معهن كانت هي..صاحبة البيت الشعري..تلبك وهو يقول لـ"آدم":

-عن اذنك الآن..يبدو ان شقيقتك تنتظرك..ألقاك غدًا .

-ان شاء الله .

حضرت "منى" واصطحبها "آدم" عائدين..أثناء الطريق حدثته قائلة:

-"آدم"..اتعرف كم سيبقى عمي هنا؟..أعني متى سيعود؟

-لا أدري..لكن اغلب الظن أنهم أسبوعان أو ثلاثة..لم تسألين؟

-زفاف "سمية" سيكون بعد عودة عمي الى فلسطين..وقد اقترحت عليّ أن آتي لأحضر الحفل مع عمي حينما يعود..ما رأيك..تاتي انت ووالدي أيضًا..أسبوع نقاهة بسيط..نرى عائلتنا..كما تعلم فكلهم هناك.

-سأفكر في الأمر يا "منى"..لكن حقيقة لا يمكنني ان أجزم..فنحن في دوام جامعي..وهذا يعني أننا سنتغيب عن الجامعة.

-أرجوك "آدم"..

-اتركي الأمر للأيام..سأرى حينها.

-لا تبدو طبيعيًا اليوم..

-أجل..أعلم..كما انك تعلمين السبب..

-بالطبع..أكثر من أخت..أنا توأمك..

-ولم السؤال إذًا؟

-أشعر ان هناك سببًا آخر..غير قلق اختبار الغد..

-"أمين"..لم يأت اليوم للجامعة..سأذهب لزيارته..

-خيرًا ان شاء الله.

عاد "آدم" و"منى" الى المنزل..سلّم "آدم" على والده وعمه اللذان كانا قد عادا توًا ..ثم خرج لزيارة "أمين".

حدّث نفسه:

-ترى هل أصابه مكروه؟..ثم انني لم اعلمه بأمر زيارتي..لا بأس اذا لم يرد استقبالي..فأنا سأطمئن عليه من الباب فقط..

كان من عادة "أمين" التهرب من أي زيارة منزلية..لم يحب يومًا أن يدخل منزله أحد غريب..سوى ساكنيه..ليس خجلًا من هيئة المنزل فهو لا بأس به .. انما خجلًا من وحشته وخلوّه من سكانه الأصليين الذين رحلوا في وقت ما قبل أعوام.. لذا كانت معظم لقاءاته مع أصدقاءه تتم في الأماكن العامة.. سمع صوت الجرس معلنًا عن احدهم..التفت الى جده وقال:

-هل استدعيت أحدًا يا جدي؟

قال بصوت واهن:

-لا..

-اذن ..من هذا؟ نهض بتكاسل..كان الارهاق قد اخذ منه ما أخذ..يبدو انه لم ينم ليلة البارحة ..وقف قليلًا امام الباب ثم فتحه:

-"آدم"؟

-أجل "آدم"..كيف حالك يا "أمين"؟

قال بذات النبرة المتفاجئة:

-لكن..لم جئت؟! خيرًا هل هناك مشكلةما..هل أنت بخير؟

ضحك "آدم": هل انا بخير؟ ما بك يا "أمين"..بل انت الذي يجب أن يجيب على هذا السؤال..لقد غبت اليوم عن الدوام الجامعي..جئت أطمئن عليك..لم ترسل أي رسالة أو تخبرني بشيء.

تذكر "أمين":

-اه نعم..لقد غبت..لا ..لا شيء يدعو للقلق..

-ءأنت متأكد؟

سمع صوت سُعال جده فقال بحرج:

-سأراه وآتي..

اختفى سريعًا قبل ان يسمع سؤال "آدم":

-مَن؟

وصل "أمين" الى جده فنطق جده قائلًا:

-من على الباب يا "أمين"؟

-صديق..

-أدخله يا بني..لا يجوز ان تتركه واقفًا هكذا..

-لكن..

-أمين قلت لك أدخله.

عاد "أمين" حيث كان واقفًا مع "آدم" عند الباب:

-خيرًا يا "أمين"؟

-تفضل ..سأخبرك. وأشار له أن يدخل المنزل.

قاده "أمين" الى غرفة الجلوس حيث كان جده..كان المنزل بمظهر عجيب..الأثاث فيه يوحي بانه كان في وقت ما راقيًا بشدة..إلا أن الزمن قدعفا عليه..كان بسيطًا به لمحة من جمال قديم..

سلّم "آدم" على الجد الجالس بإرهاق. ثم أخذ موضعًا قبالته.

-"أمين": "آدم" هذا جدي..والد أبي..كما ترى ..قد انتكست صحته واضطررت للبقاء معه.

-سلّمك الله يا جدي..لو كنت أعلم لما جئت خاوي اليدين.

جاء صوت جده ضعيفًا:

-جُزيت خيرًا يا بني..

لم تدم الزيارة أكثر من خمس دقائق. غادر "آدم" بعدها وفي ذهنه الكثير..لم يشأ أن يسأل "أمين" عن بعض التفاصيل كأن: اين والداك..هل تملك اخوة .. تجنبًا لإحراجه..حينها لاح له طيف "منى" وهي تسأله: "هل "أمين" يتيم ؟" ربما ..فالمنزل خالٍ من الأنس..أيًا كان ..فأنا لن أسأله ما لم يكن مستعدًا ليخبرني بإرادته.

جاءه اتصال هاتفي:

-"إسماعيل"!..ماذا يريد؟..لقد تأخرت عن العمل..رد عليه فجاءه صوت "إسماعيل":

-السلام عليكم "آدم"..هل أنت متفرغ؟

-وعليكم السلام..حقيقة يا "اسماعيل" أنا في طريقي الى العمل.. خيرًا؟

-كنت أريدك في موضوع..حسنًا لا بأس أكلمك لاحقًا..لا تنشغل بي.

أنهى "آدم" الاتصال سريعًا وانطلق في طريقه بأقصى سرعة ..لقد تأخر بما فيه الكفاية!

بينما قال "إسماعيل":

- "آدم" مشغول.. نظر الى المنشور الذي أعطاه إياه ..علم ان الرقم لـ"آدم"..اذن في النهاية فـ"آدم" ليس متفرغًا ..يجب ان يبحث عن حل آخر..قال بعد ان تذكر:

-الشيخ "حذيفة"!

خرج من المنزل متجهًا الى المسجد في نهاية الشارع، لم يكن وقت الصلاة قد دخل بعد..ربما ربع ساعة حتى يحين موعدها..لكنه لم يكن يطيق الانتظار.

دلف المسجد فوجد الشيخ جالسًا يقرأ في كتاب الله.

-السلام عليكم شيخي..

رفع الشاب رأسه وقال ببشاشة:

-وعليكم السلام "إسماعيل"..وحشتني يا أخي.

ضحك "إسماعيل" وقال ساخرًا:

-لقد كنت هنا قبل ساعات في صلاة الظهر..وحشتك ماذا انت الآخر..

ضحك "حذيفة":

-وهل صدقتني ..امازحك فقط..كيف حالك؟ خيرًا ..هل هناك مشكلة.جئت قبل الموعد؟

-حقيقة يا شيخي..كنت مترددًا كثيرًا ..وحالما وجدت الجرأة قلت ان آتي سريعًا قبل أن اغير رأيي.

-أولًا دعك من "شيخي" هذه فأنا لست سوى ابن السبعة والعشرين عامًا..كما أننا أصدقاء طفولة..أم ماذا تقول؟ .. حسنًا وما هي مشكلتك يا أخي؟

ابتسم "إسماعيل" ثم تنهد بعمق وقال:

-لا أنسى أيامي التي قضيتها معك ورفاقنا في هذا المسجد نحفظ الكتاب والسنة..كانت من أروع أيام حياتي ..مليئة بالايمان..بالسعادة والراحة..لكن وكما قال تعالى "أَحَسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولوا ءامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ"[1] ..لا بد من الاختبار والامتحان..وأجزم انني رسبت باختباري ..وبجداره..

أتذكر حينما كنا نجتمع لنلعب كرة القدم في أحد الملاعب..كنا ننظم رحلة أسبوعية لمحبي هذه الرياضة، وأنا كنت من عشاقها..وكما كبرت فقد نما معي حبي للكرة أكثر..ضحك واكمل: كم أشعر بسذاجة ما أقول..

تداعى الأمر من ممارستها الى متابعتها واتخذت من أحد الأندية كفريق انتمي اليه ..ان سألني أحدهم عن صفي في المباراة.. أصبحت متباعًا لهم بشدة..وأُعجبت بأحد لاعبيه لدرجة كبيرة..وعلمت عنه كل صغيرة وكبيرة ..غرقت في الموضوع أكثر لأجد نفسي تطلب مني تقليده في تسريحة شعره وطريقة لبسه..أعترف بغبائي الشديد..وانا أُقنع نفسي ان شيئًا لن يتغير سوى مظهري وسأبقى "اسماعيل" الشاب الصالح الذي لا يترك فريضة واحدة..ولا ينظر لما حرم الله عليه ..ولا ..ولا ..

اه ..الحمد لله على نعمة الستر يا "حذيفة".. لكن ، من وضع خطوة أولى لا بد أن تجره الثانية.

أحمد الله مجددًا .. أنني لم أغرق في الوحل تمامًا..حتى استيقظت، راجعت نفسي

---

[1]سورة العنكبوت الآية[2]

أكثر من مرة..وفهمت أصل المشكلة..وعزمت على الرجوع قبل أن أضيع أكثر..علمت أن أصل الخطأ كان في التعلق بغير الله..في البحث عن قدوة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم.."حذيفة"..أشعر انني أصغر من أصغر انسان خُلق على وجه الأرض..أنا في غاية الضيق من نفسي ..اتمنى لو أستطيع تعويض ما فاتني..ثم صمت وزفر بتعب.

ابتسم "حذيفة" ابتسامة صغيرة..وقد علم سبب اختفاء "اسماعيل" قبل فترة عن حضور صلاة الجماعة..قال له:

-أولًا عليك ان تحمد الله كثيرًا..أنه وفقك لتعرف أنك مُخطئ..ثم ألهمك لتعرف خطأك..حقيقة يا "اسماعيل"..لقد خضت حربًا عنيفة مع نفسك..ولكنك انتصرت في النهاية..وهذا هو المهم في الأمر. كما ان شعرك ليس بالسيء كما تقول..

ضحك "اسماعيل":

-لا.. هذا بعد التعديل ..

رفع حاجيبه متفهمًا ثم أكمل قائلًا:

-كان من الجميل منك ان تعترف بخطئك وتشعر بالسوء تجاهه..وبحثك عن الصواب خطوة ممتازة منك. لكني لم أفهم حتى الآن..كيف تريدني مساعدتك؟ لقد حللتَ مشكلتك بنفسك..

-أريدك ان تخبرني كيف للمرء أن يُكفّر عمّا سبق..ماذا عليّ ان أفعل..هل أترك كرة القدم واللاعب وكل شيء! كيف يمكنني ان أبدأ بداية سليمة..وأن لا اعلق قلبي بغيره سبحانه؟

-المشكلة فينا أننا نؤمن بالكثير من مُسلّمات ديننا ..لكننا لا نفكر في كيفية للوصول اليها بعيدًا عن المصطلحات والمسميات .. عليك أن تشعر بالمعنى الحقيقي الكامن وراء الأوامر المَفروضة علينا..مثلًا..حب الله..أن تعيش معه ولأجله..ان تجعله ضمن اولوياتك ..كي يبقى متصدرًا قائمة المحبين..حينها ستجد نفسك وبطريقة تلقائية تواظب على الصلاة ..تداوم على ذكره .. تتعلق بالدعاء اليه..الأمر أبسط مما يتصوره الكثيرون..

اعلمْ يا "اسماعيل" أن تعلقك بغيره سبحانه لم يحصل إلا بتقصير منك..كان تكون مقصرًا في صلاتك..وعلاقة مع ربك..وعليك ان تعالج هذا الخلل بمراجعة نفسك وتقيمها..أما عن كيفية التكفير عمّا سبق..فيا "اسماعيل" .."ان الله يَغْفُر الّذُنُوبَ جَمِيعًا".. عليك بالانابة والندم..ثم أن لا تعود لما كنت عليه..لا يعني أن تترك كرة القدم وممارسة هوايتك نهائيًا..بل أن تخفف من شدة تعلقك بها..فنحن في النهاية لم نُخلق لنلعب كرة.. ضحك الاثنان وأكمل صديقه:

-عليك ان تعقد النية على عدم العودة لما كنت عليه..أنا سعيد لأجلك يا "إسماعيل"..رغم ان مشكلتك هينة وليست بالكبيرة إلا أنك قد أبديتها اهتمامًا جَلِلًا..وهذا سيمنعك بإذن الله من الوقوع في المعاصي الكبيرة.

-وبهذه البساطة؟

-هه أجل..وماذا كنت تظن؟

-لا ..لم اتخيل أن يكون بسيطًا..

-عزيزي "اسماعيل".."انما الأعمال بالنيات"..وان عزمت على التوبة فإن الله سيعينك عليها..المهم ان تُخلص نيتك بالإنابة والعودة.

-أشكرك "حذيفة"..لقد أحسست براحة أكبر..

-على الرحب والسعة يا "أسماعيل"..عن اذنك الآن..دقائق ويُرفع الآذان.

-بالطبع.

شعر "اسماعيل" بالراحة تنتشر في أعضاء جسده..لم يعد نفسه ثقيلًا على صدره..أحسّ بالرضا ولو قليلًا عن نفسه..

عندما تعلم ان الله مستعد لعودتك دائمًا ..بل وينتظرك بشوق..ستشعر بالحرج من شدة حبه لك..ستعلم كم انك كنت ساذجًا حينما ابتعدت واتبعت هواك.. يالله كم انت رحيم..أنا حقًا لا أستطيع التعبير عمّا يعتريني من مشاعر..حب شديد..تصالح مع ذاتي..هدوء.. الآن فقط توصلت الى أن كل شيء مع الله .. أنقى..أهدأ ..أجمل.

كانت الساعة تُشير الى الثالثة فجرًا..

-"معتصم": أمي..يجب أن ننطلق حالًا..

-حسنًا يا بني ..دقائق حتى أُنهي من تجهيز حقيبة والدك.

-أمي.."محمد".. كما قلنا سابقًا ..خذا حذركما ..لا تأخذا الأشياء المشبوهة.. لستُ مستعدًا للعودة بدون زيارة بسبب مقص أظافر.

قال "محمد" بأسى وهو يرتدي ثيابه:

-لا حول ولا قوة إلا بالله، اذا كان مقص الأظافر سببًا لمنع الزيارة ..فما يدرينا مالذي سيمنعها هذه المرة..

-لينطق فمك الخير..لا بد لنا من زيارته..لقد اشتقت لوالدي كثيرًا..

حينها وصل هاتف "معتصم" اتصال..فذهب ليرى صاحبه و"محمد" يقول بقلق:

-مَن يا "معتصم"؟

ابتسم واجاب:

-لا يعنيك..ضحك "محمد":

-لا بد أنها خطيبتك.. رد "معتصم":

-السلام عليكم.

-"سمية": وعليكم السلام"معتصم"..كيف حالكم جميعًا.. هل انطلقتم؟

-ليس بعد..سننطلق بعد قليل..

-أدعو الله أن يُيسر لكم هذه الزيارة وأن تلقوه على خير..

-"سمية"..هل كنتِ مستيقظة لتتصلي بي حقًا؟ .ضحكت:

-أجل..قلت أن اطمئن عليك قبل أن تخرج..هل هناك مشكلة؟

لا.. فقط.. حانت منه التفاتة الى شقيقه "محمد" وهو ينظر اليه ضاحكًا..فقال متلعثمًا:

-أخبرك لاحقًا...الى اللقاء. أنهى الاتصال فقال له "محمد":

-ماذا كنت ستقول .. ها؟ أكمل ساخرًا بطريقة تمثيلية:

-"سمية"..عزيزتي أنا أشكر اهتمامك بي..لم أتصور ان يصلني اتصال منك في مثل هذا الوقت..ثم انفجر ضاحكًا بعد أن تملكه الضحك..

-أغلق فمك يا "محمد"..أما لو قلت لك كيف كان وضعك يوم كنت خاطبًا؟؟..أوه يا الهي ..لقد اتصلت..لقد جاءت..

قال "محمد" من بين ضحكاته:

-يا الهي "معتصم" اهدأ!

-لا تسخر مني يا "محمد"..لقد كنت في مكاني ..في وقت ما..

-حسنًا ..أعتذر..هيا امي تنادينا.

رحلةٌ طويلة شاقة بانتظارهم.. ربما طاب للبعض أن يُسميها "طريق الذل".. بالرغم من انها لا تعد سوى زيارة لعزيزهم الأسير..إلا أنها رحلة فيها من المعاناة أشكالٌ وألوان..

الرحلة التي لا تستغرق أكثر من ساعة أو ساعتين على أبعد تقدير..فإنهم خلاف ذلك..يُجهزون انفسهم لساعات طوال قادمات..لا ينامون الليل وهم يُحضرون لها.

يقضون الطريق بين حافلة وأخرى..ومن نقطة تفتيش الى غيرها..يحملون بين أيديهم بعض الحاجيات الخاصة بالمُعتَقل من صور لطفله الذي لم يره قط..أو لحفيد رُزق به من ابنه الذي كبر وتزوج ولا يزال داخل الأسر..أو لصهر لم يُكتب له ان يشهد عقد قرانه على ابنته..هذا ان استطاعت الصور أن تصل اليه..

بالطبع لا تُعطى تصاريح الزيارة إلا لأقارب الدرجة الأولى: الأم، الأب، الأخ، الزوجة، الابن...والذين في بعض الأحيان قد يخرجون من هذه الدرجة ..ليمنعوا من الزيارة.. أجل..فلنتخيل أن الأم قد لا تكون قريبته من الدرجة الأولى!..يا لهذا الظلم..كيف ينفون صلة القرابة بين الأم وابنها ..أو الأخ وأخيه!؟..

لذا فإن الذهاب في رحلة لزيارة الأسير تبقى مليئة بالتوتر والترقب..حيث انه من الممكن ..أن تُمنع في أي لحظة..وبأي سبب!

ومع كل نقطة تفتيش وأُخرى يتم تفتيش حاجياتهم بشكل دقيق..وفي حال العثور على شيء ما بالخطأ وهو ما تعتبره إدارة المعبر ممنوعًا .. تقوم بإعادة كل من في الحافلة بلا استثناء ..وتحرمهم من الزيارة.

تنتهي مأساة الطريق وساعات الانتظار والنقل من حافلة الى أختها..لتبدأ رحلة المعاناة الحقيقية.. ما ان يصل ذوو الأسير الى باب السجن.. اذلالٌ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى.. .

-"معتصم": حمدًا لله ..لقد اجتزنا الطريق يا أمي..لم يبقَ الكثير..

"محمد" ساخرًا:

-بل بدأنا يا عزيزي! قالت والدتهما:

-هيا يا أولاد فلنلحق الجمع..

يتم اقتيادهم لاحتجازهم بغرف واسعة..وبظروف لا تُطيقها حتى الحيوانات..تفتقر لأجهزة تقي من حر الصيف..أو مطر الشتاء.

-سنمكث هنا طويلًا؟

أجاب "معتصم" على تساؤلات طفلٍ صغير بجانبه:

-ثلاث ساعات..اذا لم تمتد للأربع..

-اوه! يا الهي..لم كل هذا؟

-هه.. وهذا لا أدري جوابه! ..التفت إليه "محمد" ونظر اليه بعتاب وقال:

-لقد كنت فظًا معه..

-ماذا هناك..قلت له الحقيقة فقط! ..لاداعي للأوهام.

صمت الجميع ..وانشغل كلٌ يذكر الله ويسأله أن يهون عليه القادم..

تنتهي ساعات مملة..لتبدأ بعدها المرحلة الثانية.. مرحلة الشتائم والصراخ..

يُساقون فيها بطريقة مُهينة وبصوت عالي وصراخ مستمر في وجوههم.. وفوق كل هذا لا يكفون عن اتهامهم بأنهم يعطلون الزيارة ويُؤخرون إدارة السجن عن القيام بعملها.. وكل هذا والأهل لا همَّ لهم سوى رؤية المعتقل..أو سماع صوته..أو حتى أن يتمكن الطفل من احتضان والدته التي غابت وراء قضبان الاحتلال..
وحتى من الممكن أن تنتهي الزيارة دون رؤيته بذريعة باردة:

قال الجندي لمن كان بجوار "معتصم" وأُسرته:

-لقد أُلغيت الزيارة.

-ماذا؟!

لقد تم نقل المعتقل الى سجن آخر..ولا زيارة لكم اليوم.

بكى الطفل –الذي كان يحدثه "معتصم" قبل ساعات- كثيرًا.. وهو يصيح:

-أمي..أريد أن أرى أمي! .نهرهم الجندي وأمرهم بالخروج.. فانسحب الطفل ووالده عائدين تجنبًا لحدوث مشاكل أكبر.

بكت والدةمعتصم و محمد..وقلبها يعتصرألمًا وخوفًا من ان يصيبهامثل ماأصابهم.

انتهى التفتيش المهين مرة أخرى، وتسابق الأهل لولوج القاعة حيث ستتم الزيارة..

القاعة محكمة المنافذ لا تهوية ولا هواء..منفصلة الى قسمين..واحد للأهل وآخر للأسرى.. يفصلهم حاجز بلاستيكي سميك..يحجب الرؤية بشكل كبير ..ولكن مع ذلك; الجميع منشغل بحجز موقف له ..فغالبًا لا تتسع المواقف للجميع..

الآن لا ينقصهم سوى أن يخرج الأسرى..وفي مزيد من الذهل والاهانة..قد تُؤخر الادارة خروج الأسرى أو أفراد منهم..بالرغم من كون مدة الزيارة نصف ساعة فقط..وفي حال تأخر خروج الأسير فإن الوقت لا يعوض له..ويأخذ ما تبقى من نصف ساعته.

لكن، بحمد الله خرج الأسرى بعد انتظار قصير.. بحث كلٌ عن ذويه..لا أحد من الأهل يستطيع أن ينادي على أحد من الأسرى..أو العكس.. لذا فإن الطرق على الحاجز البلاستيكي ..هو الوسيلة الوحيدة لاستدعاءه..مع أن الجميع يؤديها في ذات اللحظة..

ارتفعت النداءات اللا طائل منها.. والتي تخرج في محاولة يائسة للفت انتباه الأسير.. فعمت الفوضى والضجيج...

أخيرًا تمكن والدهم من الوصول اليهم.. والآن، ..وبعد نظرة من خلف حاجز رديء لا يُظهر لهم بقدر ما يُخفي.. يُمكنهم التواصل عبر هاتف متصل بين كل اثنين متقابلين من الأسرى والأهل.. هاتف تتغير فيه الذبذبات.. بالكاد يوصل الصوت..هذا ان لم يكن متعطلًا من الأساس..

أرخى والدهما يديه على الحاجز محاولًا لمس أسرته مع انعدام ذلك..كانت الدموع هي سيدة الموقف وحركات الرأس هي اللغة..لم يملك أيًا منهم سوى ذات الطريقة التي يؤديها الجميع..يضعون أكفهم على الحاجز..لتوازيها الأكف والجبهات من الجهة الأخرى.

-"معتصم": الهاتف لا يعمل!! .. "محمد" انظر اليه..

بكت أمهما بحرقة..لم تكن تود أن يحصل ذلك..ألا يكفي أنها لا تراه..ألا يكفي أنها لا تلمسه..وبدون صوت أيضًا!؟

حاول زوجها مواساتها ببعض الاشارات والإيماءات.. التي لا تبدو واضحة لهم بشكل جيد..

-"محمد": لا فائدة..انه معطل..

صرخ "معتصم" في شرطي الأمن من خلفه:

-هذا لا يعمل!.. لم يرد عليه، فصاح بصوت أعلى:

-أقول لك هذا لا يعمل أصلحه لي!

صرخ به بعد ان ألقى شتيمة:

- اقطع صوتك وإلا ألقيتك خارجًا..

التفت بأسى.. نظر حوله .. الجميع مُنشغل بزيارته..لا يمكن لأحدج ان يُشاركه هاتفه..كما ان هذا لا ينفع.. زفر بحنق وقد تجمعت العبرات في عينيه..كيف سأخبره بأمر زواجي..وأحدثه بمستجدات حياتي..التي عشتها بعيدًا عنه..

التفت الى أسرة تقف بتوتر وحزن شديد..انتبه الى عدم وجود أحد من الأسرى قبالتهم..لا يبدو أنه قد خرج بعد.. كلٌ مشغول بمصيبته..قد يرونه وقد لا يحصل ذلك..تأملهم قليلًا..اذن فحاله أهون من غيره..على الأقل ..فقد رآه!

التفت الى والدته وقد قرر أن يلطف الجو..خصوصًا أن والدته لم تكف عن البكاء أو البحث عن ثغرة في الحاجز قد توصلها الى زوجها..

صاح وهو يُشير بحركات يحاول أن تكون مرتجمة لما يقول:

أبي..أنا .. تزوجت.. تزوّجت..

يبدو أن والده قد استلم الرسالة.. فراح يصفق له مبتسمًا بفرح.. و يرسل له التهاني..فأكمل بذات الطريقة:

-وقد استقريت في عمل... وانا الآن.. أعمل ..في المشفى..المشفى.

بدا أن والده قد تلقى الرسالة الأخرى بنجاح أيضًا.. وحاول أن يُرسل له إشارات تعبر عن سعادته بما قيل.. فضحك من بين دموعه وهو يقول لوالدته:

-ها... ماذا تريدينني أن أقول له؟

ابتسمت بوهن:

-أخبره أننا نحبه.. وننتظره بفارغ الصبر ..أخبره أننا ما عدنا نطيق الحياة من دونه..استعجله أن يخرج..

حاول أن يوصل له الرسالة ببعض الاشارات الأخرى..أملًا أن تصله ويستطيع فك شيفرتها ..

انتهت الزيارة كما بدأت .. دموع ودموع..وايماءات مختلفة..الجميع يطرق على الحاجز..نصف ساعة انقضت ولا أحد يدري هل قال كل ما كان يختزله من مشاعر تجاه الآخر..هل أخبره عن كل ما كان يرتبه للحديث به معه؟ .. لا شيء سوى الدموع..ربما كانت الطريقة الأفضل ..من بين كل تلك الممنوعات.

انتهت الزيارة ليبدأ "طريق الذل" مجددًا..التفتيش المستمر ..الشتائم والاهانات.. المواصلات المملة الحواجز التي لا تنتهي.. ليصل الأهل مع حلول الليل.

دلف "معتصم" ووالدته المنزل بعد ان تركهما "محمد" عائدًا الى منزله هو الآخر..

"محسن" بقلق:

-كيف كانت الزيارة؟

قالت الأم بوجوم:

-جيدة.

أشار له "معتصم" ألا يتحدث في هذا الموضوع..فقال:

-ما رأيكم أن أجهز لكم العشاء؟.. لقد أرسل أيوب لنا الطعام.

-"معتصم": أيوب؟

-أعني ..والدة "أيوب".

-"معتصم": والدة "أيوب"؟

"محسن" ضاحكًا:

-ماذا؟ هل تنتظر أن أقول "سمية"؟ ..أجل يا أخي.. هي من أوصت "أيوب" بذلك.

تشققت ابتسامة ضعيفة على وجهه فقال:

-سأتصل بها أشكرها ..أمي.."محسن"..دقائق وأعود..ابدئا الطعام ان اردتما.

رنّ هاتفها فأجابت:

-السلام عليكم..حمدًا لله على سلامتكم.

-وعليكم السلام..سلّمك الله يا عزيزتي.. لماذا أتعبت نفسك.

-لم أفعل شيئًا يا "معتصم"..بل هذا أقل ما أستطيع..أخبرني كيف كانت الزيارة؟

أطرق بأسى:

-كان الهاتف معطّل..لم نتمكن من الحديث ..كانت الاشارات هي لغتنا..

قالت بصوت مختنق: حقًا؟

-أجل..لا تقلقي..لقد علم بأمر خطبتنا..لكني لم أستط ان أخبره بأكثر من ذلك..

-لا بأس تعوضونها في زيارات أخرى..أو..أن يكتب الله له الاجتماع بكم قريبًا ..وتخبره حينها بكل شيء.

-آمل ذلك يا "سمية"..

-المهم أنكم جميعًا بخير؟

-أجل بحمد الله ، "سمية"..أوصلي سلامي لـ"أيوب"..

-يصل بإذن الله.. اعتني بنفسك "معتصم"..

-وأنتِ كذلك يا "سمية".. السلام عليكم.

-قالت: "مع كل محنة منحة" .. اسم جميل.. عمّ يتحدث؟

-"منى": عن الابتلاءات التي يتعرض لها الانسان..وأنها ليست اختبارًا لقوته الشخصية..وانما لمدى استعانته بالله..وأثر الصلاة على العبد المُبتلى..كما في قوله تعالى "إِنّ الإنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا* إذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا* وإذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعًا* إلا المُصَلِّين"[1]

والتي هي من أعظم أسباب الاستقرار النفسي.

-ممتاز جدًا..حسنًا يمكننا توزيعه غدًا..في مجلتنا مجلة "كلمتني". وافق الجميع ثم

[1] سورة المعارج الآيات [19] [20] [21] [22].

استأذنت الفتيات و انصرفن خارجات.

-"رحمة": كانت فكرة رائعة يا "أسماء"..

-لم تكن فكرتي وحدي.."منى" شاركتني..

-"رحمة": أيًا كان.. فلقد استطعنا أن نكتب موضوعًا جيدًا.. بل ممتازًا كما قالت د. "حنان".

-"منى": لا يهم رأيها بقدر ما أود معرفة رأي الطلاب حياله.

نظرت "رحمة" الى هاتفها وقالت:

-أبي ينتظرني خارج الجامعة..عن اذنكن..

-غريب.. مالأمر.. ليس من عادته الحضور؟

-لا.. ليس لأمر مهم..فقط كان مارًا في طريقه فقال أن يصطحبني..

رحلت "رحمة" فسألت "أسماء":

-ماذا هل شقيقك سيتأخر؟

-أجل، نصف ساعة الى ان تنتهي محاضرته الأخيرة.

-سأنتظر معك اذًا.

-يمكنك أن تعودي سانتظر وحدي..

-لا.. أؤنسك قليلًا..

صمتت الاثنتان حتى سألت "منى":

-وكيف أحوال عملك؟

-بخير..

سألت "منى": وهل تعرفين أحدًا يُدعى "أمين" يأتي لزيارة المركز؟

قالت باستغراب:

-ربما..أنا لا أحفظ الاسماء.. لم السؤال؟

قالت بإصرار:

-شاب يأتي للمركز عندكم.. يُدعى "أمين"..

-آه .. تقصدين "أمين"..

-أجل يا ذكية. .."أمين"..

-لا أعلم عنه سوى أنه يحضر ليضع مبلغًا متواضعًا كل فترة وأخرى..يلتقي بطفل يدعى "إسلام" أحد الأيتام.. فهمت انه عقد معه صداقة أو شيء من هذا القبيل.. فهو يرسل له الهدايا كلما حضر.. وفي آخر مرة أهداه كتبان..أحدهما كان "الى الظل".. على ما أظن.

-ياه .. تعرفين كل هذا وتقولين بأنك لا تحفظين الاسماء.. ماذا سيحصل ان حفظتها..

ضحكت وأردفت بمكر:

-ولم تسألين؟

-ليس لشيء أيتها الغبية..فقط فهمت انه صديق "آدم"..و"آدم" يحاول فهمه ..فهو لا يتحدث كثيرًا.. ولا يعلم "آدم" عنه شيئًا سوى جده الذي يعيش معه..

قالت بعد ان غمزتها:

-فقط؟ دفعتها "منى" من كتفها:

-كفي عن السخرية.

ضحكت وقالت:

-كشفتك!

-قلت لك أغلقي فمك.. وكفي عن الغباء..

-بالله عليكِ أليس ما قلتُه صحيح؟

قالت بحزم:

-"أسماء"! ..ثم أردفت:

-لا بد ان "آدم" قد انتهى.. الى اللقاء.

هتفت "أسماء" لـ"منى" التي ابتعدت مسرعة:

-لا تنسي أن تدعينني للحفل ..أنا صديقتك.. لكن "منى" لم تلتفت اليها.. فضحكت وقالت:

-لن تغضب هذه الـ"منى" ..ستنسى كل شيء غدًا.. ههه.

وصلتْ "منى" المنزل بصحبة "آدم"..كان والدهما جالسًا مع أخيه يتناقشون في شؤون عملهم..

-السلام عليكم..خيرًا يا أبي.. لم حقائب السفر هنا؟

قال عمه "حمزَة":

-سأعود بعد غدٍ الى فلسطين.

-ماذا؟ ..لم تدم زيارتك سوى أسبوعين! لم نفعل شيئًا بعد!

-لم نفعل شيئًا بعد؟ ..أنتما لم تتركا مكانًا لم نزره في "عمان"! .كما أنه مهمتي قد انتهت بالنسة للعمل..وهناك التزامات أخرى هناك..

-أوه يا عمي..بهذه السرعة!

-أجل يا عزيزتي..

-صحيح.. وزفاف "سمية" سيكون بعد عودتك؟

-أجل.

-امم ما رأيك أبي لو نذهب مع عمي.. نحضر الحفل ..ونزور الاقارب هناك؟

-الى فلسطين!؟ هذا صعب يا عزيزتي..أنا أيضًا ملتزم مع العمال هنا..كما ان العمل سيبدأ حالما يعود عمك..فقد اشترينا القماش اللازم.

-ياللأسف..فكر مرة أخرى أبي..

-لا أظن أن هذا سيحصل يا "منى"..

قطع حديثهم هاتف عمهم "حمزَة" الذي قال:

-"أيوب"؟..خيرًا ان شاء الله..

أجاب على الاتصال فجاءه صوت ابنه مُرهقًا:

-أبي..المنزل .. انهم يهدموه.

وقف فزعًا وقال بهلع:

-منزل من؟!

-منزلنا..

قال بعد تلعثم:

-هل تتكلم بجدية؟ ..

-مالأمر يا أخي؟.. عساه خيرًا؟ أشار له أن ينتظر كي يفهم باقي التفاصيل من ابنه.

-"أيوب": أبي..انت تعلم أن البناء ليس مرخصًا كحال أغلب المنازل.. وبينما لم ندفع ثمن الترخيص جاءنا انذار قبل أسبوع تقريبًا ..وأنا حاولت جاهدًا أن أثنيهم

..لكن الآن تم الاخلاء ..أنا و"سمية" وأمي بخير ..لا تقلق.. لا أدري لمَ جاء الأمر بالهدم سريعًا هكذا! ..أكمل بصوت واهن:

-أبي!! لا أستطيع تحمل المشهد أمامي..الجدران التي كانت تحتضننا بحب تسقط فتاتًا! المكان الذي شهد أروع أيام حياتي سيتلاشى بعد قليل!! ..افعل شيئًا أرجوك!!

صمت والده، كان يعلم أن نداءات ابنه الاستغاثية لا طائل منها.. بل كلاهما يعلم ذلك..لكنه أراد أن يفعل ما قد يفعله أي ابن يقع في ضائقة ويطلب العون من أبيه..

-اسمع يا بني.. لا ترتكب مصيبة ما ..انت تفهم ما أقصد.. اذهبا الى دار خالكم ..سأكون عندكم بعد يومين على الأكثر..سأصل سريعًا لا تقلق.

أنهى الاتصال وارتمى على المقعد الذي نهض عنه قبل قليل..أخفى وجهه بين كفيه وتمتم بأسى:

-لا حول ولا قوة إلا بالله..

-أجبني يا أخي.. أفهمني بالله عليك مالذي يحصل؟

-منزلي .. يُهدم..

قال "آدم" بانفعل: لمَ؟!

-بحجة عدم الترخيص..يطلبون مبالغ ضخمة بما يُسمى بالترخيص .. هذا عدا عن تكلفة البناء ذاته.. إضافة الى انهم لا يمنحوه بسهولة..قد يحتاج انتظاره سنينًا.. ولذا فإن هناك الكثير ممن يبنون بدونه..

جاء الانذار قبل أسبوع..لا أفهم لم هذه المهلة الضئيلة..حسبي الله ونعم الوكيل.

ربّت شقيقه "وليد" على كتفه:

-توكل على الله يا أخي.. سيجعل لكم مخرجًا بإذنه.

زفر بحنق ونهض قائلًا:

-يجب أن أعود سريعًا ..سأنهي كل شيء اليوم ..وسأنطلق غدًا.

❖❖❖❖

تدهورت صحة جد "أمين" ..مما اضطره للغياب مجددًا لمتابعة صحته..

كان الألم و شعوره بالعجز تجاه جده يشعره بقلة الحيلة..لم يكن يستطع مساعدته ونقله للمشفى..كل ما كان يفعله شراء بعض المسكنات بما يتناسب مع نقوده.. النقود ..آه .. ليته يستطيع أن يُنقذ جده .. فقط كان هذا أقصى ما يريد..كان يحاول تناسي أمر الرسوم الجامعية التي لا تزيد كاهله سوى ثقلًا ..التسجل للفصل القادم سيبدأ غدًا..وسيُغلق بعد فترة وجيزة..ان لم يتسطع أن يحجز لنفسه مقعدًا خلال هذه الفترة..فلينسَ امر الجامعة..

وهذا ما قرره، فحياة جده والذي يعني له الأسرة كاملة على المحك.. وهو مستعد للتضحية بدراسته فداءً لجده..

كم تمنى لو انه يحمل شهادته بأسرع وقت ليؤمن لنفسه عملًا محترمًا يدر عليه بالنقود.. استيقظ من تفكيره على صوت رنين هاتفه.. نظر للرقم ..لم يكن محفوظًا لديه .. يا للغرابة.. من هذا؟

ألقى نظرة الى جده الذي بدأ يستيقظ ثم قرر أخيرًا الرد:

-السلام عليكم؟

-وعليكم السلام.. ابن صالح عبد الوهاب؟

انتبه وقال:

-أجل..ومن تكون انت؟

-انا السمسار المعني ببيع أرض والدك..

-أرض؟ أي أرض؟

-اسمعني يا بني..والدك يملك أرضًا.. وقد جاء اليوم أحدهم لشرائها..علمت ان والدك قد توفي قبل سنوات.. فبحثت عن وريث به فعلمت بأمرك.. المهم ..كما اتفقت مع السيد "صالح".. نسبتي واحد ونصف بالمئة..يعني أربعة آلاف وخمسمئة دينار .. والباقي سيكون لك.

صمت "أمين" وهو يحاول استيعاب ما قيل..ثم تمتم:

-أربعة آلاف وخمسمئة!!

-أجل يا بني..وهذا ما اتفقت به مع والدك..وجميع الاوراق موثقة ..ويمكنني أن..

قاطعه والذهول قد أخذ منه ما أخذ:

-لا ..لا ..اعني .. وكم سعر الأرض اذًا؟

-ثلاثمئة ألف.. دينار.

-ماذا! ..فتح فمه واتسعت عيناه عن آخرهما..

جاء صوت الرجل بعد ثوان من الصمت:

-هل انت موجود؟

-أجل أجل.. حسنًا ومتى سيتم البيع؟

-أخبرت الزبون أنه حالما يعلم المالك سأرد له خبرًا..

-حسنًا..موافق بالتأكيد.. وسآتي غدًا..أين يقع مكتبك؟

أملاه السمسار الموقع ثم أغلق الاتصال.

لم يستطع منع شلال من الدمع بالانهمار..يا الهي.. ثلاثمئة ألف مرة واحدة! وانا كنت أبحث عن بعض المئات فقط.. أنا ..آه .. أراد النهوض ليتوضأ ليصلي ركعتي شكر لله تعالى..إلا أن جده أمسك يده وقال بإرهاق:

-"أمين".. التفت اليه وقال:

-أمرك جدي؟

-بني.. لقد سمعتُ ما جرى توًا في المكالمة..لكني أود ..أن أخبرك بحقيقة ما.. ثم افعل ما يحلو لك.

جلس بجوار جده وأمسك بيده وقال:

-أرجوك لا ترهق نفسك بالحديث جدي..

سعل ثم قال:

-الموضوع مهم.. اسمعني جيدًا.. ألم يكن عجيبًا ألا تعرف بشأن وجود الأرض تلك؟ يبدو ان السعادة قد أنستك التفكير في بعض التفاصيل المهمة..

تعجب من قول جده ..لم يفهم فقال:

-ومالمشكلة..علمت ام لم اعلم..

-لا يا عزيزي.. يجب عيك ان تعلم...أنني أخفيت أمر تلك الأرض عنك..كي لا تتعلق بها كثيرًا.. لأنها..ليست من..سعل بشدة..

-جدي..هل انت بخير؟

أكمل غير آبه بالسؤال:

-لأنها ..ليست من حق أبيك..اعني أنها ليست له.

دُهش وقال:

كيف ذلك؟ السمسار أخبرني انها لوالدي..

-لا شان لذلك الرجل..المشكلة ليست منه المشكلة من ابني.. والدك.

صمت "أمين" وقد عجز عن الرد..ما هذه المفاجآت المتتالية.. لوالده أرض ستُباع غدًا.. لا ..لحظة ..ليست له.. لا لمشكلةٍ من السمسار..الخطأ من والدي..ليست من حقه!؟ ..والدي..الإنسان الأسمى في حياتي..الجبل العظيم الذي رغم غيابه يحظى بهالة من القداسة.. لا أصدق..كيف لكلمة مشكلة الاقتران معه في ذات الجملة..كان رجلًا شهمًا في نظري.. له تأثير طاغٍ في حياتي..

لم تكن السعادة تفارق محياه يومًا.. صحيح انه كان شديدًا; لكن الابتسامة تنبثق منه حالما ألتفت إليه..

بعد صمت قصير ..نطق باحتقان:

-لم أفهم؟

-سأشرح لك.. عزيزي "أمين".. أعلم ان والدك يعني كثيرًا بالنسبة لك..بالرغم من أنك لم تقضِ معه الكثير .. والدك يا "أمين".. كان ذا مالٍ وفير.. فتح الله عليه باب الرزق على مصراعيه.. وهو لم يتفانى في البحث عن المزيد والمزيد..ربما أحاله ذلك لشيء من الجشع.. أنا لا أود أن أُضايقك..فكما هو والدك..فهو ابني يا "أمين"..أعلم أن ما ستسمعه ثقيل عليك ..لكنهاالحقيقة..

أكمل: أراد أن يُنشأ مشروعًا في منطقة ما..وعلم ان الأرض التي وقع اختياره عليها هي فعلًا لرجل يُدعى "وليد" ..على ما اعتقد.. حاول ان يشتريها منه فرفض.. الأرض للرجل ومن حقه الرفض..لكن "صالح" لم يفكر بذات الطريقة..

عزم على شرائها مهما كلفه الثمن ..وإن لم يُفلح في شارئها فسيأخذها عنوة.. فما تتمتع به من مواصفات تتوافق مع مشروعه المرتقب جعله مصرًا عليها وبقوة..

خصوصًا ان المشروع بحسب ما خطط مع شركاءه..سيُدرّ عليه أمولًا طائلة..

لم يُرد "وليد" أن يبيعها لأسباب لم يوضحها.. وان كنت أعتقد انه كان هو الآخر سيبدأ مشروعه عليها، .. فرفع والدك عليه بعض القضايا الملفقة التي تقول ان "وليد" سرقها من والدك ..وأنها حق والدك من الأساس.. وقد حصل.. تمكن من أخذها وأصبحت ملكًا له..بعدما عجز "وليد" عن اثبات حقه أمام شهداء الزور الذين عينهم ابني..

لقد خيره بين البيع أو الأخذ عنوة وامام رفض "وليد" للبيع توجه للخيار الثاني.

استطاع ابني الحصول على الأرض..لكن تعسرت اموره كثيرًا بعدها ..فلم يستطع انشاء مشروعه ..وتوقف العمل الذي لم يبدأ.. فالله لا يبارك في المال الحرام..

بقيت الارض باسمه.. واما عن "وليد" فلم أره بعدها..

وفي الفترة الأخيرة التي قضاها والدك من عمره.. تدهورت أوضاع عمله وشركاته.. وتزايدت الخسارة..ولاح شبح الافلاس يقترب..وفي خضم كل هذا حصل ما حصل.. وتوفي والداك وشقيقك في حادث مروّع.. وتوالت الخسارات تلو الأخرى..واضطر

الكفيل الذي كان يعمل مع والدك لبيع الكثير حتى يسد الديون التي تراكمت..تقلصت ثروة والدك الضخمة ليبقى هذا المنزل وتلك الأرض.. بينما عكفت أنا في تلك الفترة على تربيتك بعد ان فقدتَ كل شيء في يوم وليلة..

أعترف انني حاولت ألا أذكر والدك أمامك بسوء فقد كنت تحبه بشدة قبل وفاته..

أردتك ألا تكون مثله.. حاولت ان أغرس فيك الخير وسلامة الفِكر.. كي يأتي هذا اليوم الذي ستكون فيه مخيرًا أمام النقود.. وحقوق الناس..

الخيار لك..في النهاية انا لن اعيش طويلًا لأتحمل نتائج الاختيار.. فكر جيدًا "أمين".

لم تتوقف دموعه عن الهطول طوال الحديث..شعر بغصة في قلبه..أراد أن يصرخ بكل ما فيه.. لمَ السعادة لا تعرف له طريقًا؟ ..وان جاءت صدفة! ..تحمل نفسها وتغادر سريعًا..

-جدي.. اتعلم ما المشكلة.. أنت لا تضعني أمام خيار النقود وحقوق الناس.. أنا الآن أقف أمام خيارين..أحدهما حياتك ومستقبلي..والآخر حقوق الناس.. أتدري ما معنى هذا..

أخجل من نفسي التي تبكي أمامك كالأطفال ..صدقني... الأمر صعب للغاية!

ماذا سأفعل بعد أن ترحل أنت وأخسر النقود؟ ..هاه؟ لا شيء..سأفقد كل شيء..جدي .ألا يوجد خيار آخر!

مسح جده على رأسيه بحنان بالغ:

أعلم يا "أمين" أنك في مأزق صعب..لكن عليك ان تضع بعين اعتبارك قوله تعالى:"ولا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِل وَتُدْلُوا بِهَا إِلى الحُكَّام لِتَأكُلَوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُون"[1]..

ولك القرار.. تذكر الآية.. وتذكر أيضًا أنك تحمل اسم "أمين صالح"، حرّك رأسه يمينًا وقال:

-"أمين"..ثم حركه يسارًا وقال:

-و"صالح" أيضًا.. لا تدع اسمك حجة عليك يوم القيامة.. وخذ بعلمك أن هذه حقوق الناس وستُسأل عنها في قنطرة المظالم على الصراط..والأمر حينها يتوقف على العباد ان كانوا سيسامحونك او لا..

نهض "أمين" ورأسه يعصف بالكثير..أخبر جده انه سيذهب للنوم..

لكنه قبل ذلك توجه الى الباب المُغلق بجانب غرفته منذ مدة..تقدم وفتحه بخفة ثم دلف.. ضاق صدره وهو يتخيل والده يجلس على السرير ويبتسم له بسعادة بعد أن خلّف أُناس يبكون حرقة على حقوقهم.. آهٍ يا أبي..وهل كنت فظًا الى تلك الدرجة؟ ..أنت لست بحاجة للدعاء فقط..أنت بحاجة للكثير الآن..

فتح الدرج الذي رمى به الصورة العائلية آخر مرة..أخذ يتأملها..

---

[1] سورة البقرة الآية[128].

يريد أن يستشيرهم في رأيهم..تُرى ماذا سيقولون له؟ ..ليت الصورة توصل حيرتي الى سُكّانها .. فيساعدونني في اتخاذ القرار..ثم ترسل لي ردهم..

لم يُفكر يومًا بسوء تجاه أحد..لكن هذه المرة ..كان الوضع أصعب..أخبره الشيطان أن يبيعها وينتهي الأمر..في النهاية فقد فعل ذلك مُكرهًا والله سيغفر له..

أُعجب بالفكرة.. ليست سيئة..كما ان تبريرها جيد..نقل بصره الى صورة أسرته.. شعر ان والدته توبخه على قراره الخاطئ..وكذلك شقيقه "مأمون"..لكن وجه والده لم يخبره بشيء..ظلّ يتأمل لفترة أخرى..حتى نهض متأففًا من نفسه..غاضبًا عليها.. لماذا يضعف بهذا الشكل في كل مره يدخل هنا؟ ... إنها أشباح الماضي تلاحقه..من الصعب الافلات منها..

كيف يسأل من لا يملكون له ضرًا ولا نفعًا.. ونسي ربه الذي قال "ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم"! ..خرج متوجهًا الى غرفته بعد ان توضأ..استقبل القبلة..

بعد ان كان سينهض لأداء ركعتي شكر..ها هو يقف يسأل الله ويستخيره في أمره..أخذ يناجيه ويسأله ان يريه الحق حقًا ويرزقه اتباعه، ويريه الباطل باطلًا ويرزقه اجتنابه..ويلهمه الصواب ويعينه عليه.. اختتم صلاته بدعاء الاستخارة.. وظل يدعو الله حتى صدح صوت المؤذن يعلن دخول وقت الفجر بصوت خاشع يداعب القلوب.

جلس "آدم" مع "أمين" و"إسماعيل" الذي بدأ يعود لسابق عهده وكما كان قبل أن يتغير..، في قاعة المحاضرة مُنتظرين الدقائق الأخيرة التي تفصلهم عن موعد الدرس..

-"أمين"..هل جدك بخير؟ أجاب:

- أجل بحمد الله، لم يكن يريد التحدث ..فكانت اجاباته مقتضبة الى حد ما.. صحيح أنه قرر إعادة الارض لصاحبها وقد عزم على ان يتوجه للسمسار للبحث في قضية المالك الأصلي للأرض حالما يعود من الجامعة ..وأنه لن يأكل حقوق الناس فهذا ما تربى عليه..لكن شعوره بالضيق مما سيحصل له لاحقًا من بعد هذا القرارا يسيطر عليه..لكنه عزم على أن لا يقع في ذات الخطأ الذي وقع به والده..

دلف بعدها دكتور المحاضرة..وقبل أن يبدأ:

-"أمين صالح عبد الوهاب" موجود؟

قال بتعجب: أجل..

-حسنًا يمكنك مراجعة العميد بعد المحاضرة..

علت بعض التمتمات في القاعة..العميد مرة واحدة!

همس "أمين" لـ"آدم" الذي كان بجواره:

-ماذا تعتقد؟ هل بسبب غيابي ليومين؟ قال هامسًا هو الآخر:

-لعله خير..

انتهت المحاضرة و"أمين" يغلي من فرط توتره..تُرى هل سيُفصل من الجامعة؟ لم يغب أكثر من ثلاثة أيام..هل اليومين كافيين ليُعاقب؟

صاحبه "آدم" و"اسماعيل" الى العميد..على ان ينتظرانه أسفل المبنى..

دق الباب ثم دلف بعد أن سُمح له..

كان مكتب العميد يضم طالبان آخران..كما خمّن "أمين"..اضافة الى رجل غريب..وبالطبع العميد ذاته.

-العميد: اه ..ها هو..استاذ "عاصم"..هؤلاء هم الطلاب الذين اخترتهم..بناء على شروطك..

ابتسم المدعو بـ"عاصم" وقال:

-كيف الحال يا شباب..أشار الى نفسه وأكمل:

-أخوكم "عاصم"..فاعل خير..حقيقة أنا لم أرد ان أُظهر نفسي أمامكم.. لكن العميد أصرّ.. كي أتاكد من تنفيذ ما أنوي.. أردت أن أكفل ثلاثة شباب..وهذا العدد أطمح أن يكبُر مستقبلًا..بناء على عدد من المعايير اتفقت بها مع العميد..أهمها أن يكونوا ممن هم يتيمو الأب.. وهذا كل شيء ..جئتم هنا لأطلعكم بالخبر السعيد هذا..آمل ألا تنسوني من دعائكم.

تسابق الثلاثة بالدعاء له ومصافحته..

صافحه "أمين" وهو يمانع سقوط الدمع من عينيه ، هكذا هو عطاء الله يأتي في الوقت المناسب تمامًا متجسدًا بأشخاص رائعين نُرزقهم كي تُحَل مشاكلنا على أيديهم...عانقه بشده وهو يقول:

-كيف لي أن أوفيك حقك..لقد أخرجتني من ضائقة كبيرة..فرّج الله همك يا أخي..كما فرّجته عني..

ابتسم "عاصم" ونظر له قائلًا:

-فلنعتبره سداد دين لأحد ساعدني يوم كنت في حاجة ماسّة لذلك.. أتعلم.. لا تحقرنّ أحدًا مهما كان.. فصاحب الفضل هذا كان طفلًا صغيرًا.. وما فعله لم يكن أكثر من البكاء لوالده..ليُقلني معهما في السيارة..بينما كانا في طريقهما لموعد ما..

شعر "أمين" أن شريطًا من الذاكرة يعاد ليُعرض أمامه..لكن الراوي مُختلف هذه المرة..

استطرد "عاصم":

-لولاهما لفقدت أمي.. التي كانت قد دخلت في نوبة سكر مفاجئة..مجيئي بوقت أقصر كان سببًا لنجاتها ..والفضل لله ثم لهما.. تنهد بعد أن انهى من سرد قصة قصيرة من ماضيه..انتبه الى ان الشاب الذي كان يحدثه..قد انسابت دموعه التي اغرورقت ..بعد أن تراكمت وغشت عينيه..

-هل انت بخير؟ أجاب "أمين" بشيء من الحنين للماضي:

-ولو قلتُ لك أن ذاك الطفل الباكي..ليس هو إلا هذا الشاب الذي يقف أمامك..

رفع حاجبيه متفاجئًا:

-يالهي..أنت!

أومأ برأسه باضطراب..أمسكه "عاصم" من كتفيه وقال:

-ياه..أتذكر ذلك حقًا!؟..كنت يومها مُتعبًا من العمل الذي كنت مجبرًا عليه لأعيل أسرتي بعد وفاة والدي..لم أستطع ان أكمل تعليمي الجامعي لأنني كنت الأخ الأكبر..فخرجت للعمل..

رزقني الله بعدها رزقًا واسعًا..فعزمت على تحقيق طموح غيري بالتعليم ممن تأخروا بدفع رسوم الجامعة ..تحت وطأة ذات الظرف الذي عشته أنا..أردت أن أرى السعادة بادية في وجوههم بعد أن لم أحظى بها..

"أمين": ليت أبي كان موجودًا..وعلم بأمرك..كان سيفرح بلا شك.. أكمل قائلًا في نفسه:

-وكان سيتوقف عن توبيخي كلما سألته أن نساعد أحدًا... سيعلم أن جزاء الاحسان..ما هو إلا إحسان أكبر..

-"عاصم": هو الآن في مكان أفضل بإذن الله..وأين تقطن انت حاليًا؟ مع والدتك؟

ابتسم بحزن وقال:

-اسرتي قد رحلت جميعًا في ذات اليوم.. أنا حاليًا..أعيش مع جدي.

قال بتأثر:

-عظّم الله أجرك.. لم أقصد شيئًا ..فقط وددت زيارتك..

-حقيقة.. الأمر صعب.. ف.. أنا ..جالت بذهنه خاطرة:

"كم أكره الحديث عن نفسي.. لم الأمر صعب الى هذه الدرجة؟"..ثم أكمل قائلًا بعد تلعثم قصير:

-جدي..ليس بخير ..انه متعب..لذا أعتذر ..لا أستطيع أن..

قال "عاصم":

-حسنًا..ولم لا تأخذه للمشفى؟

أزاح"أمين" رأسه الى الجهة المقابلة بأسى..فاستدرك "عاصم" بعد أن فهم الوضع:

-أعني.. أنه ..سنأخذه للمشفى..هيا.. كما ساعدت والدتي في ذلك اليوم..سأساعد جدك.

-أنت تمزح؟..لم أخبرك لتقول ذلك..فقط كي تفهم أنني أعود للمنزل فقط كي أُشرف على حالته..ليس لأنـ..

قاطعه قائلًا بابتسامة:

-ألم نتفق يومها أنني أخوك الكبير؟.. بالمناسبة ما اسمك؟

-"أمين"..

-هيا اذن..جدنا بانتظارنا.

ابتسم "أمين" بامتنان.. وقد شعر ان الله لم يرزقه حلًا لمشكلته فقط..بل رزقه أخًا يعوضه الكثير!.

❖❖❖❖

-"منى": تمنيت ان أعود معه..لكن يبدو ان الوضع مُقلق..تُرى هل سيتم الزفاف؟

-"آدم": تعلمين أن عمي صارم في مواعيده..وبالنسبة للزفاف فأظنه سيتم في وقته لا محالة..هذا لأنه لا بد أن يكون العريس قد حجز كل شيء..سيارة..وثوب الزفاف..القاعة..وسيكون من الصعب التأجيل..لكن المشكلة هي أين سيقطن عمي وأسرته!

تدخل والدهما بالنقاش:

-اقترحت عليه أن يستأجر شقة أو يشتريها هناك..لكنه بحاجة للكثير من النقود.

زفر "آدم":

-كان الله في عونهم..الحياة مع وجود احتلال متغطرس صعبة للغاية..لابد ان تكون الاحتجاجات عندهم في أوجها.. المشكلة أن صداها خارج البلاد لا يُحرك ساكنًا..بل أصبح من الطبيعي المعتاد أن نسمع قصصًا مأساوية ..شخصياتها أفراد فلسطينيين.

-"منى": وهذا مُحبط للغاية بالنسبة لهم..أن لا يجدو داعمًا يعينهم ويقف معهم في قضاياهم..ليت هناك ما بمقدورنا فعله..أشعر بالعجز كلما أرى اسم فلسطيني يتصدر شريط إخباري يحوي مقتل أحدهم أو اعتقاله أو التعرض له بسوء..ليت بمقدوري كفرد..مساعدتهم..

حلّ صمت قصير قطعه "آدم" بقوله:

-..الدعاء يا "منى" .. نعم.. يمكننا أن نخصّهم بالدعاء.. أساسًا من حق المسلم على أخيه الدعاء له ..ولو بجملة عامة..

أخاف حقًا أن أُسأل يوم القيامة: "ماذا قدمت لأهل بيت المقدس؟"..لأرض الرباط..بالتأكيد ما دمت عاجزًا عن رد الظلم بيدي..فأنا لست عاجزًا عن النطق..يمكنني الدعاء.

أراد والدهم النطق استكمالًا لحوارهما لكن رنين هاتف "آدم" سبقه، رد "آدم" على التصال قائلًا:

-السلام عليكم "أمين"..كيف الحال؟

-وعليكم السلام بفضل الله.."آدم" هل يمكنك الحضور الى منزلي؟

-بالتأكيد..لكن هل هناك مشكلة ما؟ أخبرني مسؤول العمل أن لا حاجة لي بالحضور اليوم..هل غيّر رأيه؟

ضحك: لا يا "آدم": ..انت احضر وحسب.

استأذن "آدم" والده واتجه لمنزل "أمين".. وهناك..انتبه أن جده ليس موجودًا في مكانه حيث شاهده تلك المرة..حيّاه..واستفسر منه سبب استدعاءه له.

شرح له "امين" تفاصيل ما جرى في غرفة "العميد" بعد أن اضطر للرحيل مع "عاصم" دون اعلامه و"اسماعيل" بأي شيء.

احتضنه "آدم" بأسى:

-اعذرني يا "امين"..أنا لم اتوقع أبدًا ..أن تكون يتيم الأبوين فاقد الأخ....لم أتصور أنك تفتقر للعائلة.. ليتك أخبرتني..لتمكنت من مساعدتك أنت وجدك.

-"أمين": لا عليك يا "آدم"..كما أنني اعلم ظروفك جيدًا..ولا أريد ان أُثقل عليكم..

-سامحك الله أي ثقل!

-اسمعني يا "آدم"..ما زال هناك شيء آخر..

-نظر له باستفهام: تفضل؟

شرح له باختصار قصة الارض واتصال السمسار به ليلة البارحة..ثم قال:

-وبالنسبة لصاحب الأرض الفعلي.."آدم"..أتذكر حينما سألتني قائلًا "أخاف أن تكون قريبي دون ان اعلم"؟

أومأ "آدم" فأكمل:

-وقد اتضح أن هناك ما يربطنا..ليست رابطة دم..ولكنها شيء مؤسف من ناحيتي..أقدم اعتذاري نيابة عن والدي -رحمه الله- وأسألك أنت وعائلتك أن

تسامحوه في حقه.. لم أتصور يومًا ان أكون إنسانًا سيئًا ..وخصوصًا في حقك أنت وعائلتك يا "آدم"..

اتضح ان صاحب الارض الفعلي ..والذي يُدعى "وليد"..ماهو إلا "وليد سلامة"..والدك يا "آدم".

-م...ماذا؟ ءأنت متأكد؟

-أجل ويمكنني تسليم النقود لك الان..أمسكه "آدم" من كتفيه بانفعال وهتف:

-"أمين"..أتعلم ما معنى هذا!.. سبحانك يا الله..يا مدبّر الأمور..

-مابك؟

-لقد هدمت سلطات الاحتلال منزل عمي في فلسطين البارحة..وقد كان يحاول جاهدًا جمع المال لتوفير مسكن له ولعائلته..لقد جاء المال هدية من السماء! أكمل بسعادة أكبر:

-يمكن لوالدي أيضًا أن يسد ديونه ..لما اقترضه من نقود لتوفير رسوم الجامعة..

ابتسم "أمين" وقال:

-"يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ"[1] وأكمل قائلًا في نفسه:

-فلو لم اكن يتيمًا من البداية..لما كانت الأحداث ستسير بهذا الشكل!..كان لا بد

---

[1] سورة السجدة الآية[5].

ان يكون هناك بعض الخسائر.. كي يصل الحق السلوب الى صاحبه في النهاية.

"هناك أمور تصلك من غير تخطيط مُسبق منك..تقف أمامها متعجبًا..ولو استعملت كل دهائك وما وصلت اليك بهذه الروعة! "

صافحه "آدم" على عجلة وعاد الى منزله محملًا بالبشرى..بينما خرج "أمين" متوجهًا الى مركز الأيتام..في زيارة لصديقه ..وليضع مبلغًا مما رزقه الله وقفًا للمكان..

يعلم انه عندما سلّم الأرض لصاحبها كان سيخسر الكثير..لكنه كان على يقين ان الله لن يُضيعه..فرزقه "عاصم" الذي انتشله نشلًا من مشكلته..ليس هذا وحسب..بل تعهد بكفالته..وهو الآن بمثابة والده.. لقد استطاع ان يحمل عنه الكثير..علاج جده..رسوم جامعته..الآن يمكنه بما يجني من مال أن يُكبّر المبلغ الذي يقدمه لأشقاء ظروفه في هذا المبنى..كما يستطيع ان يدخر بصورة أفضل مما سبق.

وكالعادة سلّم النقود لموظفة الاتقبال ثم تحرك مُتجهًا حيث يتواجد "إسلام".

-السلام عليكم.. تنبه الى وجوده فاندفع اليه مُعانقًا:

-أوه.."أمين"..وأخيرًا كنت أنتظرك منذ مدة .. لمَ تتأخر!؟

-المسلم يقول"وعليكم السلام"..وليس "أوه"..

ضحك "إسلام" وقال:

-حسنًا وعليكم السلام..أما عن الكتب التي احضرتها..فحدث ولا حرج..

-لم أفهم..سيئة..أم..؟

-بل أكثر من رائعة..أريد ان تُحضر لي مجموعة الكاتبين كاملة..لقد أحببتهما.

مسح على رأسه بشده حتى بعثر شعره وقال:

-أحسنت..هكذا أريدك..ثم أكمل:

-بالمناسبة..ماذا حصل بالقصة التي تؤلفها؟

قال بحماس: لقد قطعت بها شوطًا كبيرًا..واستطعت ان اجد لها اسمًا..

-حقًا ..ما هو؟

-"يُدبُّر الأمر"..جميل أليس كذلك؟

-فعلًا ..أحسنت الاختيار.. رواية؟

-هه..أنا أكتب رواية؟! أكبر ما سأفعله قصة بعشر صفحات..

-لا بأس ..لكنك تجيد قراءة الروايات..اممم أخبرني إذًا..كيف تكون نهايا الروايات عادةً؟

-حينما ينتصر الخير ..يبتسم الحزين..يلتقي المتفرقون..تُحقق الأحلام..ضحك وأكمل ساخرًا:

-وحينما يتزوج البطل من الفتاة التي أُعجب بها.

ضحك "أمين":

-تبدو قارئًا ممتازًا!

-لم؟

تنهد "أمين" وقال:

-أتعلم ما المشكلة..حينما يُريك أن النهاية تتحقق باجتماع البطل بمن يُحب..بينما ان اجتماعهم يكون جيلًا جديدًا..وبداية لقصة أخرى.. أحيانًا أفكر..أن النهايات لا يجب أن تكون بذاك الشكل..فهذا يُعطي انطباعًا أن نهاية كل مشاكل الحياة ..مرهونة بالزواج..وهذا قد لا يكون صحيحًا دومًا..فالزواج يمثل بداية لحياة جديدة..وبالتأكيد لن تخلو من المشاكل..

-يا سلام يا "أمين"..الخبير في شؤون النقد..لكني لم أفهم لم سألتني عن النهايات؟

ابتسم وقال:

-كنت اعلم أنك بلا شك ستخبرني انه من علامات النهاية زواج البطل..فأردت ان أعرض رأيي حول هذه النقطة.. وأن أخبرك بشيء ما..

-ماذا..هل حانت نهايتك ؟ قهقه ضاحكًا وأردف:

-لا..أعني هل وجد البطل الفتاة التي يبحث عنها..وحرك حاجبيه مشيرًا اليه..

قال "أمين":

-حقيقة هو يفكر في الأمر منذ مدة..والآن ومع تغير الظروف وتحسنها..ربما قرر التقدم لها..وقد جاء يُعلمك انت أولًا..ربما لأنك بمثابة شقيقه.

قال "إسلام" بسعادة:

-أوه..يعني..أنني اول من يعلم..كم انت شخص مهم يا "إسلام"!

-بالطبع يا عزيزي أنت شخص مهم.. ما رأيك هل اتقدم لخطبتها؟

تظاهر "إسلام" بالخبرة وعدّل من هيئته وقال وهو يمعن النظر به:

-امم .. جيد.. اعتقد انها ستوافق عليك..لا بأس بمظهرك.

ضحك "أمين "بشدة وقال:

-أشكرك ..لقد أرحتني..كم كنت خائفًا..

أكمل "إسلام":

-وهل جدك على علم؟

-أخبرتك انك اول من يحظى بالخبر.. بالنسبة لجدي فهو حاليًا بالمشفى ..وحاله تتحسن تدريجيًا..وحالما يخرج سأفاتحه بالأمر...وحينها سأكون جاهزًا..
بالمناسبة..أود اعلامك بشيء آخر..

-يا لهذا اليوم المليء بالأشياء.. هات ما عندك.. أعلمني.

ضحك على أسلوبه في الحديث.. ثم قال:

-نحن نملك أخًا آخر.. أريد ان أخبرك..كي لا تنساه من دعائك..لقد ساعدني كثيرًا..

-"إسلام": لا مشكلة.. الاسم؟

-أشعر أنني أتعامل مع موظف ما..

-وماذا ظننتني؟ قالها محاولًا تقمص دور هذا الأخير..

-"عاصم".. شقيقنا الأكبر..

-"عاصم"..حسنًا.. لن أنساه.. وآه.. بالمناسبة..ما اسم صاحبة الحظ السعيد؟..علنا أشركناها بالدعاء؟

-مَن؟

-زوجة البطل القادمة..

أشاح "أمين بنظره بعيدًا وقال بعد صمت قصير:

-"منى"..

❖❖❖❖

-بل ستأتي..

-حسنًا بشرط.. أن تجلس "سمية" معنا.

-أيها الـ.. لا بأس ..لن أشتمك..على كلٍ أعرف ان الجلسة لأجلها..وليس للشجرة "أيوب".

-سامحك الله..كنـ..

ضغط "أيوب" على زر انهاء الاتصال ليقطع عليه حديثه..أراد ان يستفزه..ابتسم بسعادة..كم يحب اغاظته.

اتصل بـ"سمية" يعلمها بطلب "معتصم"..

هيأت نفسها ونزلت لتجلس مع شقيقها لحين قدوم "معتصم"..

-"أيوب": هل انت سعيدة؟

-بحمد الله.. لكن لا يبدو سؤالك خال من معنى.. يا ترى ماذا تقصد؟

-أعني ستغادرين المنزل بعد ايام..هل يروق لك هذا؟

-لماذا تصر على معاتبتي..تمنى لي الخير..أولستَ في النهاية ستغادر مثلي..

-أحاول ان أشعرك أنني سأفتقدك.. وأنني سأشتاق لأختي.. لكن لا يبدو ان الشعور متبادل..وأن غيابي لا يعنيك.

انفجرت "سمية" ضحكًا:

-يا عزيزي يا "أيوب"..ولم الشوق؟ لن أسافر للمريخ ..بل الى "جبل الزيتون"..المكان قريب جدًا.. وهو عدا عن كل شيء ..هنا ..في القدس.

ضحك "أيوب":

-مع السلامة..وهل تظنين أني سائلٌ بك..فقط كي لا تقولي "ايوب" لم يشعرني بأني سأذهب..

-شكرًا "أيوب"!

حضر حينها "معتصم" فقال مهاجمًا:

-هيه..أنت ..ابتعد عن زوجتي.

-يبدو انك عشت الدور تمامًا.

أخذ موضعًا بجانب "سمية" وقال:

-لا يا عزيزي.. هي في شرع الله زوجتي..ومالحفل القادم سوى للإشهار..لا أحد منكر.

-حسنًا ..دعك من سيرة "سمية"..قل لي كيف حالك؟

- بحمد الله. وانتم؟

-تمام التمام.. ثم اكمل بصوت يشوبه الأسى:

-صحيح اننا فقدنا منزلنا قبل بضعة أيام..ولا يمكنك ان تتخيل حجم الكارثة التي شعرت أننا قد علقنا بها..لكن بفضل الله لم يدم ذلك طويلًا..وربما هذا خفف من وطأة المأساة التي عشناها لحظة تلاشي المنزل..

استقررنا في منزلنا الجديد بفضل الله..ثم بفضل عمي الذي اقرضنا المبلغ من بيع أرض له..

-حمدًا لله.. حقيقة لقد ذُعرت حينما علمت بامر الهدم..من الجيد انكم تداركتم الأمر سريعًا..

-لا يعني اننا تداركناه أننا لن نترك ما فعلوه دون مقابل..غدًا سأُريهم الويلات..أعتقد ان الطقس سيكون ماطرًا..ماطرًا من نوع خاص.

-حجارة؟

-أجل..لكن الغيمة الغاضبة لن تحل إلا فوق الملاعيين.

-أحب حماسك..

-ماذا الن تشاركنا؟

-لا يا عزيزي ..مشغول بإجراءات الزفاف..كما أنني سأهدأ قليلًا حتى موعد الحفل..لا أريد مشاكل قبل ذلك.

-"سمية": وهذا قولي أيضًا..

-"معتصم": أحسنتِ عزيزتي..

-"أيوب": سأبقى ضعيف الكلمة حتى اجد من تؤازرني بعد انضمام "سمية"لصفك..

رفعت "سمية" يديه للسماء وقال:

-آمل أن تأتيك سريعًا..

-"معتصم": "أيوب".. أنشد لنا ..هيا.

-هذا ما تفلح به.. "أيوب" أنشد "أيوب" أسمعنا.. انت لا تنفع سوى للطلب.. وفي آخر مرة تمادى وقام بطلب أختي.. ألا تخجل ممن نفسك؟

ضحك الجميع بشدة..

-"معتصم": كم تحب استفزازي.. ما علينا ..بضعة أيام وآخذها وأرحل ..وأرتاح من شقائك..هيا انشد وأسمعنا..

-لن أُنشد لك أو لها.. سأنشد لها هي..

-اوه ..هكذا مرة واحدة!.. من سعيدة الحظ هذه التي همتَ بها؟

-فلسطين.. القدس..

ضحك "معتصم":

-آه.. لا اعلم لم اتجه فكري للخطأ سريعًا..

-ألم أقل لك ..لا تنفع لشيء..هكذا انت مكتهور لا تفهم خبايا الأمور..

-أشكرك..أخجلني مدحك..

ضحك "أيوب" ملئ شدقيه بعد أن عجز عن إكمال دور الانسان العاقل ثم بدأ يُنشد بصوت ندي:

-"اسلمي يا قدس إنا للفدا بيدي إن مدت الدنيا يدا

أبدً لن تستكيني أبدًا إنني أرجو مع اليوم غدا

ومعي قلبي وعزمي للجهاد لا أميل لا امل لا ألين

لك يا قدس السلام وسلامًا يا بلادي

ان رمى البغي سهامًا اتقيها بفؤادي

واسلمي في كل حين .. واسلمي في كل حين[1]

❖❖❖❖

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيراً منه، .. لا أنكر انني تعلّقت بالمدعوة "أسماء" صاحبة البيت الشعري..لكني سرعان ما تنبهت لنفسي.. واستيقظت قبل أن أقع بوحل الخطأ..أحمد الله أن رزقني بصديقي وإمام المسجد "حذيفة" فمنذ ذلك الحوار وهو لا يقطع اتصاله بي..أرسل لي مرة كتابًا لأقرأه.. كان بعنوان "البنات هيجننوني" للشيخ "حازم شومان" .. جذبني الاسم بشدة ..وقد أُعجبت به لدرجة كبيرة.. كان يعرض فحوى كتابه بطريقة مسلية ..لم أمل منه البته .. وقد اوضح لي بعض النقاط التي غفلت عني..

جائتني أمي صباح اليوم:

-"اسماعيل".. بني.. وجدتُ لك عروسًا ..لن تجد أفضل منها.

[1] واسلمي يا قدس،فرقة الروابي

-هيه أمي.. ماذا تقولين؟! مازلت أكمل تعليمي..

-حسنًا يا بني..ماالمشكلة؟ لقد تعلمت بما فيه الكفاية... كما ان فرصتك في العمل في شركة والدك تنتظرك..

-ولم انت مستعجلة يا عزيزتي؟

-اممم كما تريد.. قلتُ ان اخبرك.

-حسنًا هل يمكننا تأجيل الموضوع سنتان؟ ..أو .. أكثر.

-ولم لا تقوم بالخطبة على الأقل؟

-لم انت مصرة؟! لا أفهم.

- الفتاة يا عزيزي لن تنتظرك سنتان ..بالتأكيد هناك من سيتقدم لها.. والفتاة – ابنة جارتنا- لا تعوض.. لن تجد مثلها بسهولة..

-ما اسمها؟

-"أسماء".."أسماء رشدي".

-تمزحين؟

-تعجبت وقالت: لا .. هل تعرفها.؟

تلعثم: ربما..

ابتسمت أمه وقالت: والآن ما رأيك؟

-كما تريدين..

-خطبة والزواج بعد سنتين .. مناسب؟

ابتسم "إسماعيل".. ربما هذا ما كان يريده فعلًا..

يا الله.. يعجز اللسان عن وصف حكمة تدبيرك وعطاءك.. يصعب عليّ وصف شعور عبد ضعيف مثلي.. رغم تصيري فأنا لا أجد منك سوى العطاءات والأرزاق التي لا تنتهي..لن أنسى ما قاله لي حذيفة ذات مرة:

"اسعَ لإرضاء خالقك..فإن رضي.. أدهشك بعطاءه"..

اللهم إني أُشهدك أن ذنوبي لم تكن استهانة بحقك ولا جهلًا واستخفافًا بوعيدك..وإنما من غلبة الهوى وضعف التقوى..

وهنا.. أود أن أجري تعديلًا على البيت الشعري الذي غيرني..لآخر من صنعي بعد التغيير..

"الهي ان نفسي بالوساوس كلمتني

وعلِقتُ بالآثام ووحلها حتى كلّ متني

إسماعيل أنا كنت تائهًا ضائعًا وها عدت

أيا أسما عيل إيماني، ولله فضل ثم لك فقد تبت"

((٦ / ٤ / ٢٠٢١))

❖تمّت بحمد الله❖

❖ كلَّ مَتي ❖

افعل الخير ما استطعت ..ولا تنتظر نتائج التفاعلات التي تصنعها..حينها سيأتيك المقابل بشكل لن تتوقعه أبداً...

فلربَّ دمعة فاضت تؤازر همًا أثقل أحدهم..كانت رشفة ماءٍ في وقت حر بعد أن أهلكك الظمأ!